
حراء
مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com
العدد الحادي والعشرون / السنة السادسة / (أكتوبر - ديسمبر) ٢٠١٠
في الرحم روح جديد
في الأرحام تتخلّق أرواح،
وفي رحم الزمن تتخلّق أجيال...
تشعل للحقيقة أنوارا،
وتطفئ للأباطيل شمعات...
فيشرع النور يغمر الليالي المظلمات،
لنبصر المدارات...
ونسير على هدًى في الطرقات المعبّدات المستقيمات...

قوة الفكر

قـوة الفكر عند "فتح الله كولـن" من قوة صدقه، ومن الحـق الذي يحمله. وهذه القوة مظهر من مظاهر قوة الله وعظمتـه وتجليـات جلاله وجمالـه على الأذهان والأرواح. فهو إذا كتب اسـتنهض جانب فكره الخلاّق الذي يأتي في كل مرة بالجديد الذي يسهم في ابتعاث الأمم الآخرى. فقلمه صاحب رؤيا عميقة وواسعة يرى العالم الداخلي للمسلم المعاصر وكأنـه مقفرٌ إلا مـن عذاباته الروحية والذهنية، وهذه العذابات هي التـي تحفـز قلمه لكي يرسـم للأجيال طريق الخلاص. إنه يرسـم بقلمـه طريـق المعجزة الآتية، هذه المعجزة وإن كانت خارقة، غير أنها تتعاشق مع السنن والقوانين الكونية والطبيعية.

وإنه لمن محاسـن التوافـق أن تأتي مقالات هـذا العدد وأبحاثه، وهـي تـكاد تحمل كلهـا ملامح أو ملمحـاً من ملامـح الإعجازيات العلمية والفكرية، كما هي عند الأسـتاذ "عبد الوهاب بوخلخال" في مقالـه: "الرسـالة النبوية رسـالة تربويـة". وفي الردف منـه يأتي مقال العالم الكبير "زغلول النجار" في مقاله: "الإعجاز العلمي في وصف مشاهد الساعة في القرآن والسنة النبوية".

أمـا "سـليم أيديـن" فيرسـم لنا طريـق بنـاء "شـخصيتنا الفاعلة"، والأستاذ "محمد راتب النابلسي" يحدثنا في باكورة مقالاته في "حراء" عن النمل؛ هذا الكائن الاجتماعي العجيب.. وعن "ابن الشاطر، عالم الفلك وصانع أدوات الرصد والقياس" يحدثنا الأستاذ "بركات محمد مـراد". أمـا عن الشـمس وعن نعمة وجودها فيحدثنـا عن ذلك "زياد موسى عبد المعطي"..

ويطيب لنا أن ننوه بالمقال المتميز لهذا العدد وهو مقال الدكتور "عبد المجيد بالعابد": "نورانية الشـجرة الزيتونة المباركة"، ونورانيتها التي أشار إليها القرآن في سورة "النور". والدكتورة "مريم آيت أحمد" تشير إلى أهمية المعمار الإسلامي في مد جسور التواصل الحضاري الإنساني. أما الدكتور "عرفان يلماز" فيتحفنا بمقاله الموسوم "الجهاز المناعـي يتلكـم"، فهو يتناول جهازاً مهماً من أجهزة جسـم الإنسـان بكثير من التبسـيط وبلغة سـهلة يفهمها الطالب ذو المسـتوى البسيط والمثقف والعالم الكبير.

وقبل أن ننهي هذا الاسـتعراض لمقالات هذا العدد وأبحاثه ننبه إلى مقال الأستاذ "عمار جيدل" في "الثقافة السننية وأسسها الإيمانية" ونختم بمقالة الدكتورة "سـعاد الناصر" "هلمّوا نحب الجمال" فبحب الجمال تقرّ العيون وتنشرح الصدور.. ■





العدد الحادي والعشرون – السنة السادسة (أكتوبر – ديسمبر) ٢٠١٠

التصور العام

• حراء مجلة علمية ثقافية فصلية تعنى بالعلوم الطبيعية والإنسانية والاجتماعية وتحاور أسرار النفس البشرية وآفاق الكون الشاسعة بالمنظور القرآني الإيماني في تآلف وتناسب بين العلم والإيمان، والعقل والقلب، والفكر والواقع.
• تجمع بين الأصالة والمعاصرة وتعتمد الوسطية في فهم الإسلام وفهم الواقع، مع البعد عن الإفراط والتفريط.
• تؤمن بالانفتاح على الآخر، والحوار البناء والهادئ فيما يصب لصالح الإنسانية.
• تسعى إلى الموازنة بين العلمية في المضمون والجمالية في الشكل وأسلوب العرض، ومن ثم تدعو إلى معالجة المواد بمهنية عالية مع التبسيط ومراعاة الجوانب الأدبية والجمالية في الكتابة.

شروط النشر

• أن يكون النص المرسل جديدا لم يسبق نشره.
• ألا يزيد حجم النص على ٢٠٠٠ كلمة كحد أقصى، وللمجلة أن تلخص أو تختصر النصوص التي تتجاوز الحد المطلوب.
• يرجى من الكاتب الذي لم يسبق له النشر في المجلة إرسال نبذة مختصرة عن سيرته الذاتية.
• تخضع الأعمال المعروضة للنشر لموافقة هيئة التحرير، ولهيئة التحرير أن تطلب من الكاتب إجراء أي تعديل على المادة المقدمة قبل إجازتها للنشر.
• المجلة غير ملزمة بإعادة النصوص إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، وتلتزم بإبلاغ أصحابها بقبول النشر، ولا تلتزم بإبداء أسباب عدم النشر.
• تحتفظ المجلة بحقها في نشر النصوص وفق خطة التحرير وحسب التوقيت الذي تراه مناسبا.
• النصوص التي تنشر في المجلة تعبّر عن آراء كُتّابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.
• للمجلة حق إعادة نشر النص منفصلاً أو ضمن مجموعة من البحوث، بلغته الأصلية أو مترجمًا إلى أي لغة أخرى، دون حاجة إلى استئذان صاحب النص.
• مجلة حراء لا تمانع في النقل أو الاقتباس عنها شريطة ذكر المصدر.

يرجى إرسال جميع المشاركات إلى هيئة تحرير المجلة على العنوان الآتي:

hira@hiramagazine.com

مجلة علمية ثقافية فصلية تصدر عن:
Işık Yayıncılık Ticaret A.Ş
İstanbul / Türkiye

صاحب الامتياز
مصطفى طلعت قاطيرجي أوغلو

المشرف العام
نوزاد صواش
nsavas@hiramagazine.com

رئيس التحرير
هانئ رسلان
hraslan@hiramagazine.com

مدير التحرير
أجير إشيوك
eisiyok@hiramagazine.com

المخرج الفني
مراد عرباجي
marabaci@hiramagazine.com

المركز الرئيس
HIRA MAGAZINE
Kısıklı Mah. Meltem Sok.
No:5 34676 Üsküdar
İstanbul / Turkey
Phone: +902163186011
Fax: +902164224140
hira@hiramagazine.com

مركز التوزيع
٧ ش البرامكة – الحي السابع – م.نصر/القاهرة
تليفون وفاكس: +20222631551
الهاتف الجوال : +20100780831
جمهورية مصر العربية

نوع النشر
مجلة دورية دولية

Yayın Türü
Yaygın Süreli

الطباعة

رقم الإيداع
١٣٠٦-١٨٧٩

للاشتراك من كل أنحاء العالم
pr@hiramagazine.com







المحتويات

EGYPT
7, el-Barameka st, off al-Tayaran st. al-Hay al-Saabi
Nasr City-Cairo/EGYPT
Phone-Fax: +20222631551 Mobile: +20100780831

TÜRKİYE
Kısıklı Mahallesi, Meltem Sokak, No:5
34676 Üsküdar-İstanbul/TÜRKİYE
Phone:+90(216) 318 60 11 Fax:+90(216) 422 41 40

USA
Tughra Books
345 Clifton Ave., Clifton,
NJ, 07011, USA
Phone:+1 732 868 0210 Fax:+1 732 868 0211

SAUDI ARABIA
الوطنية للتوزيع
Phone: +966 1 4871414
المكتب الرئيسي:
شارع التخصصي مع تقاطع شارع الأمير سلطان بن
عبد العزيز عمارة فيصل السيار
ص.ب: 68761 الرياض: 11537
Phone-Fax: +966 1 2815226

SYRIA
GSM: +963 955411990

MOROCCO
الدار البيضاء ٧٠ زنقة سجلماسة
Société Arabo-Africaine de Distribution,
d'Edition et de Presse (Sapress)
70, rue de Sijilmassa, 20300 Casablanca / Morocco
Phone: +212 22 24 92 00

YEMEN
دار النشر للجامعات
الجمهورية اليمنية، صنعاء، الخط الدائري الغربي، أمام الجامعة القديمة
Phone: +967 1 440144
GSM: +967 711518611

ALGERIA
Bois des Cars 1 Villa N°68 Dely Brahim
GSM: +213 770 26 00 27

SUDAN
Phone: +249 918248388

JORDAN
GSM: +962 776 113862

UNITED ARAB EMIRATES
دار الفقيه للنشر والتوزيع
ص.ب. 6677 أبو ظبي
Phone: +971 266 789920

MAURITANIA
Phone: +2223014264



مشكلتنا الثقافية... أو الكينونة الذاتية



فتح الله گولن



لا شك أن المعنى الذي نقصده من "الكينونة الذاتية" هو إبراز هويتنا الداخلية المنسوجة من ميراث حضارتنا الذاتية وثقافتِنا الذاتية، وجعلُها "المحور" الذي ندور حوله. فلربما يَفهم بعض الأوساط في أيامنا هذه كلمةَ "الذاتية" على أنها العروضُ الفلكلورية التي لا علاقة لها بالجذور "المعنوية" لأمتنا، و"الغرائزُ" التي تطفح حينما تحس الكتلُ البشرية بالحاجة إلى إشباع نزواتها "الجسمانية"، والمراسيمُ التي تقام في مناسبات الأكل والشرب والأعياد والأعراس...

لكننا نحن نفهم من تعبير "الذات" معنى أوسع وأشمل وأعمق؛ فهي ظاهرة أَجْرتْ فاعليتَها في كل شرائح المجتمع، وتغذت من ذاكرة الأمة وشعورها ووجدانها على مر الزمان إلى أن وصلت إلى عصرنا هذا، وانعكست على مشاعر الأمة وأفكارها ولسانها وتصوراتها الفنية وتمثلت فيها، وعشناها في أعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا، باعتبارها أهم عمق من أعماق الحياة في كل أوان. فنحن نحس ونشعر بها في كل وحدة من وحدات الحياة، وفي كل صفحة من صفحاتها ومرحلة من مراحلها، وفي كل محطة من محطاتها؛ من الرعاية التي نلقاها في أحضان أمهاتنا إلى سلوكيات أجدادنا المشبعة بروح الأبوة الحانية التي تعكس طبيعتنا الذاتية.. ومن طبع برامجنا التربوية ومضامينها بروحنا الذاتية إلى نفخ المربي لهذه الروح بأكمل وجه.. ومن أشكال الطهي في مطابخنا إلى تصرفاتنا في حقولنا ومزارعنا.. ومن قيامنا وقعودنا في مكاتبنا إلى أخلاقياتنا المهنية.. ومن أساليب كلامنا وكتابتنا إلى علاقاتنا بالآخرين.

محور الذات

قد لا يدرك البعض -على المدى القريب- الفوائدَ العملية أو الاجتماعية للعيش في أجواء "محور الذات"، لكن من الطبيعي والبدهي أنه -على المدى البعيد وبالإصرار عليه- سوف تبدو الأهمية الحيوية له في مراحل التقدم كلها. وعلينا في هذا السياق أن نواصل السير في إطار ديننا وتراثنا وأعرافنا وعاداتنا وتقاليدنا، مع أخذ ما يستجِدُّ من تفسيرات الزمان

بعين الاعتبار. وبمرور الزمان ستكون قيمنا الذاتية جزءاً لا يتجزأ من طباعنا، وما نقتبسه من الخارج سيصطبغ بصبغتنا وسنتبنّاه فيكون لوناً مهمًّا من ألوان الخطوط في نسيج أطلسنا الذاتي؛ الفكري والثقافي.

إن تلك الحضارات التي كانت تُذهل العقولَ وتبهر العيون بغناها الثقافي، لم تظهر في روما وأثينا ومصر وبابل فجأة من غير مقدمات؛ إن الثقافة في كل مكان إنما وُلِدت بعد حضانة طويلة في عالم المشاعر والأفكار للأفراد، وفي السفوح الخصبة للوجدان العام، واستقت من المناهل الداخلية بشكل مباشر، ومن الخارجية بعد الترشيح والتصفية، فترعرعت حتى صارت بعد زمانٍ عمقاً مهمًّا لطبائع الشعوب ولوناً ظاهراً لحياتها، ثم أحاطت بأرجاء الحياة كلها وإن لم تَجْرِ الألسنُ بالكلام عنها دائماً، فهيمنت على حياتها في المعبد والمدرسة والشارع والبيت والمقاهي وغرف النوم... حتى إنَّ الناس لو لم ينصاعوا لها بإرادتهم ووعيهم، فقد كانت تطوعهم بقوة سرية تأسر إرادتهم.

فأية أمة أرسيت قواعدها بهذه المثابة على أساس ثقافي بهذه الرصانة، فإنها بمرور الوقت ستصل إلى مستوى من النضج، بحيث يكون من الطبيعي لها أن تتخطى كل العقبات التي تعترض طريقها كالجهل والفقر والتشرزم والتسيب والضغوط الخارجية. فكل من حضارة روما وأثينا ومصر والعثمانيين تعتبر -ككونها من حضارات العهد الوسيط- من الأمثلة الجيدة على هذا.. وبالنسبة للتاريخ القريب تعتبر ألمانيا نموذجاً لا بأس به لولا أنها أنهكت نفسها بخوض مغامرات من نوع الحرب العالمية الثانية.

فبعد الحرب العالمية الثانية، انقلبت ألمانيا عاليها سافلها، وصار اقتصادها ركاماً، وتسلط الأجانب على سيادتها الوطنية، وتفرَّق المجتمعُ إلى معسكرات متنازعةٍ في الجو النفسي الذي ولَّدته الهزيمة والبؤس، وصارت تلك البلاد من أدناها إلى أقصاها معسكراً للأسر... لكن قلوبهم كانت -في الوقت ذاته- تنبض بالهمة، ورؤاهم تفوح بحب ألمانيا الكبرى، وكانوا على ثقة تامة بأن قوتهم العضلية وفكرَهم كافيان لتحقيق ذلك. وكانوا على يقين بأن ألمانيا إذا كانت لابد وأن تنجو من ميدان الموت هذا، فإنما تنجو بطاقتها الحيوية وثقافتها المستقرة الراسخة، وهذا ما حصل فعلاً.

الجذور والنهوض

نعم، إن الشعب الألماني ولّى وجهه شطر جذوره المعنوية، واستفاد بعقلانية من الظروف الاجتماعية، والنفسية-الاجتماعية، والاجتماعية-الثقافية، وأصبح من الذين قرؤوا وفسروا أوضاع النصف الأخير من القرن الماضي في سبيل مصالحه، بشكل لم يسبق له مثيل.

نستنبط من هذا الأنموذج، أن اختزال أسباب المعضلات السياسية والاقتصادية والإدارية لأي بلد، وحصرَها في السياسة والاقتصاد والإدارة وإن صح من وجه معين، لكنه معلول بنواقصَ من أوجه كثيرة؛ فما من شك في فائدة الجهد والهمة والعلم وابتكار البرامج البديلة في كل ساحة وميدان، لكن هنا أمر آخر ينبغي صرف الهمة إليه بالضرورة، وهو -على ما أعتقد- ثقافةُ الأمة وجذورها المعنوية؛ إذ ينبغي على الأمة ألا تغض البصر عن جذورها المعنوية في جميع فعالياتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وألا تنسى البتة الرسالةَ الهادفة المميّزة لثقافتها الذاتية، ما دامت قد قررت أن تتقاضى مع عصرها.

صحيح أنه كلما دار الحديث حول التغير والتطور في بلادنا حصل التركيز على ثقافتنا الذاتية، ولكننا لا يمكننا الحديث عن مبادرة تتصف بالديمومة والمنهجية في هذا المجال؛ فالمدارس (التقليدية) والزوايا والتكايا التي كانت تربي مهندسِي فكرِنا وعمالَ روحنا في الماضي، لم تنتج مشاريعَ تأخذ بأيدينا إلى المستقبل. وإذ لم تنجح في ذلك، انسحقت تحت ركام أنقاضها. وإذ نقول هذا القول، نواجه مبدأً يكاد يسكتنا ويضرب على أفواهنا، هو: "لا تذكروا ماضيكم بمساوئه"، ويمنعُنا من أن نتفوه بشيء غيرِ هذا. ونحن بدورنا نقول: "إن حوادث التاريخ لا تعيد نفسها مهما تشابهت فيما بينها. فاللازم أن نعتبر بعبرها، لا أن نتلقى دروساً منها". ومن ثم نوجه الأسئلة عن الماضي إلى أنفسنا في الحاضر، فنقول: إن الذين سبقونا قد انقرضوا لمّا انحرفوا عن الغاية والهدف من وجودهم. ونحن اليوم في الموقف عينه. فالأصوب إذن أن نقاضي أخطاءنا بدلاً عن الانشغال بأخطائهم، وإن سلّمنا بوقوعها.

المنبع والمنهل

لنسلِّم بأنهم لم يأبهوا بالمنابع التي ينهلون منها، فصاروا وسيلة لجدب أمتنا. لكن قولوا لي -أرجوكم- ما الذي صنعناه نحن؟ هل نستطيع أن ندعي بأننا -كشعوب- وفَّيْنا بمسؤولياتنا كلها؟ أو هل نزعم بأننا قمنا بإدارة مؤسسات الدولة كما يتطلبه العصر؟ رجاءً أفيدوني! مَن يستطيع أن يقول: إن المدارس في كل هذه المدة المديدة قد أثمرت المرتجى؟ صحيح أن كثيراً

من الشباب حصّلوا تعليماً عالياً في باريس ولندن وميونيخ ونيويورك... لكن هل صاروا أعضاء نافعين لمجتمعهم؟ بل على العكس؛ فدع عنك كونهم أعضاء نافعين، رجع أكثرهم إلى بلادهم بأحلام (فانتازيات) مختلفة، وجلبوا للوطن معضلات عويصة بتأثيرِ تياراتٍ مثل الأنكلوسكسونية والنازية والسلافية، أو الرأسمالية والليبرالية والشيوعية؟ فزادوا الاضطراب اضطراباً، وزادوا القطيعة مع الذات شدة... ولا زلنا نرجو ونأمل ألا يدوم الحال على هذا المنوال.

والحقيقة أن ثمة أسباباً كثيرة لرجائنا وتفاؤلنا. فقبل كل شيء، قد أصبحنا نعي -إبان هذه المدة- الذي أصابنا من الغدر والظلم. ويمكن لألبوم الصور المريرة هذه أن تلهمنا صوراً مختلفة منذ الآن.. إنَّ تَعَلُّقَنا بمد جسور الصداقة مع فرنسا وألمانيا وإنكلترا وأمريكا، وخيبةَ آمالنا وقلةَ حيلتنا، والتجاربَ التي اكتسبناها في خضم محاربة المئات من السلبيات، قد تحولت إلى توتر روحي جاد يمكن أن يولد انفتاحاً على غرار "قوة الطرد المركزي". لكن استثمار هذا التوتر استثماراً جيداً واجب يقع على عاتقنا نحن. المدرسة أعطت ثمارها بمقدار أهميتها. والآن جاء أوان ترويض ما ألهمته المدارس من العلوم والتجارب بعجنها في معجنة أرواحنا نحن، وتغذيتها بأسس ثقافتنا نحن.

ذلك بأننا إن كنا عازمين على المضي قدماً نحو المستقبل، فلا مناص من أن نكون ذاتيين في المنطق والمحاكمة العقلية والأسلوب، باستثمار تراكمنا العلمي والتجريبي في مواقعه المناسِبة. فقد تُكسب المدرسةُ الإنسان تراكماتٍ وتجاربَ علميةً واجتماعية واقتصادية وسياسية؛ لكنَّ تقبُّلها من قِبل فئات المجتمع كافة ودوامَها، مرتبط بامتزاجها وتكاملها مع الجذور المعنوية للمجتمع وبنيانه الفكري... ولهذا فإن معضلة أمثالنا من الدول المتخلفة إنما هي عجزها عن اكتشاف حقيقة المدرسة بروحها ومعناها، بل -وبالأحرى- إنها معضلة ثقافية في أصلها، ومن الضروري واللازم أن تُحل هذه المشكلة في أرضيتها هي. نعم، هناك أمور كثيرة نحصل عليها وتتشربها أرواحنا ونحن على مقاعد المدرسة، ولكن ثمة أمراً أشدَّ وَقْعاً وتأثيراً، ألا وهو الثقافة.. ومما لا مرية فيه أن الثقافة من الأمور التي تنتجها البيئة والمحيط.

الشمولية الثقافية

يمكن القول بأن البيئة ظلّت مصدر القيم الثقافية في كل الحضارات سابقها وحاضرها. ويمكن أن نسميها "البيئة العامة" التي تتكون من الأحاسيس والأفكار والسلوكيات والأصوات والألوان والأساليب والأداء والخصوصيات الأخرى الحاوية على أعماق متنوعة من طبيعة الأمة. ولا يتعسر علينا التدليل على صحة هذا المقترب بأدلة كثيرة، لكننا نريد الآن أن نركز على أقوى حركية، وهي "شمولية" الثقافة التي تتنفسها جميع شرائح المجتمع كالهواء، وترتشفها كالماء، وتشمها كالزهور، وتصغي إليها كالطبيعة. فالثقافة إنما تتسع وتحوز على قدرة التأثير الدائم بهذه "الشمولية". وهذا ما ينبغي أن يتبادر إلى الذهن حينما تُذكر "الثقافة". نعم، إنها مؤثرة في راعٍ بعين المقياس الذي تؤثر به على مثقف أو علاّمة. فما يعنيه التقاء الماء والتراب والهواء والشمس في نقطة واحدة، بالنسبة لوجود أي كائن حي ومواصلتِه لحياته.. هو الذي تعنيه الثقافة بالنسبة لحاضر أي مجتمع ومستقبله. نعم، إنها من أهم المقومات التي تُوصِل الفردَ والمجتمع إلى درجة النضج من الجهة النفسية والأخلاقية.

إن المدرسة بقدر ما تكون متوجهة نحو الهدف ومتسمة بالعمق تصبح ميناء أو مطاراً أو منطلقاً للأمة، بشرط أن تُصْهَر مكتسباتها في بوتقة الثقافة الذاتية. وإلا فمن البدهي أن المدرسة لن تستطيع حل المشاكل الفردية والاجتماعية. إن المدرسة، باعتبارها دائرةَ تخطيطٍ ومركزَ مشروعٍ من الممكن أن تعني شيئاً بقدر ما يستمع الوجدانُ الاجتماعي إلى صوتِ شيء من برامجها المنسجمة مع الأخلاق العامة وثقافة الأمة... ولكن من العسير جدًّا -بل من المحال- أن نستدل على أنموذج واحد أنجزته المدرسة بوحدها. لذلك، علينا أن نتقبل المدرسة بواقعها وحقيقتها، ولا نأملَ منها إلا ما يمكن أن تمنحنا إياه. ومع حفظِ ورعايةِ حق العلم، إنَّ تعليق الآمال كلها بالمدرسة منطلَقٌ مبالَغٌ فيه، وتفكيرٌ سطحي وبسيط يَجعل إيضاحَ كثير من البديهيات مستعصياً، كتحميل الأرض على قرن الثور!

إن المجتمع السليم الواعدَ بمستقبل مشرق، يتكون من أفراد سليمين هم منه كالجزء من الكل، ولكن -من جانب آخر- وجودُ أفراد منضبطين وممتازين وتطورُهم، لا يتم إلا في مجتمع سليم كهذا، وإن كان هذا المقترب يؤدي بنا إلى نوع من "الدَّوْر المحال". فإن بيئة عامرة بتراثنا الثري ستؤثر في كل وقت؛ في العالِم والجاهل، والشاب والكهل، والبدوي والحضري، والمفكر والسارب في هواه.. وما إن

يفتح هؤلاء أعينهم ويرتبطون بما حولهم حتى يوحي المحيطُ والجو العام إليهم دائماً بأمورٍ ويحاسبهم ويحاورهم... وبوارداتها وغناها، أو بفقرها، أو بوسطها النفسي والمادي، قد تغذيهم وتربيهم وتعمرهم، أو تقوض عواطفهم وأفكارهم وتحيل كل شيء إلى خراب.

وقد لا يتسنى للإنسان أن يحس على وجه تام بمدى التأثير الذي يحدثه جو "روح الأمة" على أي مجتمع وعلى أفراده من كل النواحي، ولكن ينبغي أن نستحضر دائماً أن كثيراً من التفرعات والتفاصيل الجزئية في العالم النفسي أو المادي، والتي بدت هينة ومستصغرة، قد فَتحت الأبواب لاكتشافاتٍ ومبادرات واختراعات تتعدى الخيال في أهميتها. ففي بعض المواقف، فَارَ وجدانٌ بملاحظةِ ترقُّبِ قطة لجُحرِ فأر بلا توانٍ.. وانكشفت آفاق واسعة أمام عقولٍ فَكَّرت في التناغم البديع لمجتمع النمل والنحل، الذي لا يضاهِي كمالَه أعظمُ الجمهوريات كمالاً.. وكم من أمر مستصغر في عالم المادة أذكى نار أذهان وقادة.

الصغير والكبير

فكم من أمر يبدو للآخرين هيناً ولكنه فتح الأبوابَ لاستلهام عظائم؛ مثل طاس الحمّام لـ"أرخميدس"، وتفاحةِ "نيوتن"، والتناغم العام لـ"جِين"، والقِدْرِ المتدحرج في سطح الدار لـ"نصير الدين الطوسي"، وأنغام الموسيقى التي تهدّئ المجانين لـ"ابن الهيثم"، وبزوغ شمس صباح آسرٍ لـ"ميخائيل إنجيليو" وماءِ جَرّةٍ لـ"دنيس بابن"..!

ومن الحقيقة أن لبنيان المجتمع من حيث صحته أو عطبه، وجوانبه الإيجابية أو السلبية، تأثيراً بَيّناً على الأفراد،

إن انبعاثنا مجدداً بثقافتنا الذاتية، يتطلب رجال قلوب متحفزين بالإيمان.. ومهندسي فكر سائحين في الغد بأفقهم الفكري.. وعباقرة يحتضنون الوجود والأحداث بتصوراتهم الفنية، ويتعرفون بتحسساتهم وتفحصاتهم الدقيقة على آفاق جديدة أبعد من الآفاق التي نحن فيها.

وإن لم يتمكن العقل -دائماً- بالنظر الظاهري السطحي من إدراكه والشعور به. فالأفراد هم أبناء المجتمع الذي يوجَدون فيه، وفي بيئة المجتمع يحسون بكل شيء ويعيشونه ويتقبلونه. والواجب على أهل العلم والمعرفة عموماً، وعلى المسؤولين خاصة، أن ينقُّوا ويغربلوا الأفكار الغريبة والضارة والمنكَرة التي تؤثر على المجتمع سلباً، وتُضادُّ العقل والمشاهدة والتجربة والفكر الديني. إن أعظم الأبطال الذين قاموا بهذه الغربلة في التاريخ، هم الأنبياء، ثم مِن بعدهم الأصفياءُ المتحفِّزون بالإلهام، ورجالُ الفكر الذين تكاملت قلوبهم وعقولهم، ورجال العلم الموقِّرون لعالم الغيب مع عالم الشهادة، وللحس الوجداني مع التفكير العقلاني، وللوحي السماوي مع التجربة.

فحينما فتح سيدنا نوح عليه السلام النقاش حول وَدٍّ وسُواع ويغوثَ ويعوقَ ونسر؛ وثار إبراهيم عليه السلام تجاه الأصنام والفكر الوثني المحيط ببيئته؛ ونافح موسى عليه السلام الظلم والاستبداد والطغيان واستغلال الإنسان؛ وأذل المسيح عليه السلام المادية المؤلّهة؛ وحارب مفخرةُ الإنسانية ﷺ العللَ الاجتماعية التي ما فتئت تمسك بتلابيب البشر كالجهل والفقر والتنازع والتفرق، إلى جانب جميع الأخطاء الأخرى التي جاهد الأنبياء السابقون ضدها... ومن بعده إلى يومنا، فَسَّر جميعُ المجددين والمرشدين الكمّل الحياةَ تفسيراً جديداً في إطار أوامر الله تعالى وإرادته ورضائه... هؤلاء كلهم سعوا جاهدين لتحقيق تلك الغربلة والتنقية.

فمن أجل إنشاء الثقافة وإدامتها، ينبغي تحفيز رد الفعل المشترك ضد الأفكار الماسخة والغريبة المنكرة، إلى جانب استشعارها والإحساس بها بكامل عناصرها من قبل كل فئات المجتمع... حتى نبقى وندوم بذاتنا وبخصالنا الذاتية من جهة، وحتى نسير إلى المستقبل من غير السقوط في دوامة الباطل والخرافة والتغّرب من جهة أخرى.

النقول الثقافية

إن التأثير المتبادل ما بين الثقافات حقيقة لا مراء فيها، لكن نقل الثقافة من مكان إلى آخر مع المحافظة على أصالتها غير ممكن. فالثقافة ليست لباساً يُنزع عن بدن ويُلقى على بدن آخر. وكما تحافِظ الكائنات الحية على أصالتها باعتبار خصوصياتها البيولوجية، كذلك الثقافة إنما تحافظ على نفسها وتصير بُعداً حيويًّا للمجتمع الذي وُلدت وترعرعت فيه؛ إذا صارت كالهواء الذي يتنفسُّونه، والماء الذي يرتشفونه، حتى تصير عمقاً حيوياً لذلك المجتمع، فتُحمَى وتُصانَ.

إن الثقافة تموت إذا ما نقلت من مكان إلى آخر ما لم تتجهز البيئة الجديدة بما يصلح لوجودها ونمائها، أو -في الأقل- تفقد خصوصياتها

الذاتية، فتتهجن ويُعدم معناها وتنقلب إلى حقل ثقافي آخر. وكما يَعجز الآخرون عن التمثيل التام لصوتنا ونغمنا وخطنا ورسمنا ونمطنا وأسلوبنا بأصالته الذاتية، كذلك يتعذر علينا التمثل العيني لخصوصيات ثقافة الآخرين. ومع ثراء الألوان في ثقافتنا، فإن الآخرين لن يستفيدوا منها معاني كالتي نفهمها نحن، ولن تهيج فيهم المشاعر كما تهيج فينا نحن، ولئن أحدثتْ فيهم تأثيراً معيّناً فلن تحدثه فيهم بطبيعتها وفطريتها الذاتية. والعكس صحيح إذا أخذنا ثقافة الأمم الأخرى قبل استيعابها وهضمها. ذلك لأن الثقافة ليست بضاعة تشترى من الباعة المتجولين فتؤخذُ إلى البيت كلوحة أو صورة أو أسطوانة أو شريط؛ إنها من حيث كونها ملتقى كل العناصر الزمانية والمكانية للمحيط الذي نشأت وترعرعت فيه "كلٌّ" لا يتجزأ وخاصةٌ ببيئتها التي تربت هي فيها، ولابد من تناولها مع كل العناصر التي تقف وراءها، حتى يمكنَ وضع كل الوحدات التي تكوّنها وتغذيها في إطار يربط فيما بينها... وأول ما يخطر بالبال أثناء نظرتنا هذه، أنها صيغة حياة معينة ذات نمط خاص لأمة معينة، ومنظومةُ سلوكيات خاصة فريدة من نوعها لأفراد تلك الأمة. ولا شبهة في أن أول ما يلفت النظر في هذا التحليل، هو التأثير والتأثر بين فلسفة الحياة لأي مجتمع ونمط سلوكيته. وكلما توطدت فلسفة الحياة وتبناها كل أفراد المجتمع، تكون سلوكياتهم وأنماط حياتهم باقية وواعدة للمستقبل. وكما في الأحياء البيولوجية؛ "الكلُّ" -أي الجسم بمجموعه- يعيّن حركاتِ الخلايا في خط معين، وتقوم الخلايا المتوجهة باتجاه معيّن بوظيفةِ عواملَ تنقل الهيأةُ العمومية "للكل" إلى المستقبل.

منظومة الحركات هذه، التي تجري وكأنها في إطار المسؤوليات المتبادلة، توجِد -من جهةٍ- تنظيماً من التدرج الوظيفي عندما يتعلق الموضوع بالموجودات الإرادية، ومن جهة أخرى، تفجّر سيلاً من التمحيص والاختبار من قِبل العقل السليم، والمشاهدة الصحيحة، والتشخيص بالحس الوجداني.

إن هذه هي الطريقة المثلى لتوحُّد المجتمع وتَطابُقه مع فلسفة حياته وأسلوبه الذاتي وطبيعته التاريخية، حتى يصبح مجتمعاً مستقرًّا بماضيه وحاضره، ومنفتحاً على العقل والفكر والوحي.. وإلا فإن الأمور الفلكلورية التي لم يكتمل سياق تطورها، والتي تم نسجها من العادات والتقاليد والهويات وما يُشبع الغرائزَ والأذواق.. حتى المؤلّهة منها.. ما هي إلا نماذج خادعة من العدم والعوز الثقافي.

نعم، ثَمّ أخذ وعطاء، وتأثير وتأثر دائم بين فئات المجتمع المتنوعة في الأمم والحضارات الوطيدة التي سكن تَموُّجُها الاجتماعي. وفي الأوساط التي يوجد فيها جو ديمقراطي خاصة، يوجد تأثير وتأثر، وتفاعل مهم ودائم بين قمة هرم المجتمع وعناصر قاعدته. فالمعلم في المدرسة، والواعظُ على الكرسي، والكاتبُ في الجريدة والمجلةِ، والمحللُ على شاشة التلفزيون، والأديبُ بشعره ونثره، والرسامُ الناقل للموجودات بالمعنى الواسع ولمحيطه بالمعنى الضيق إلى لوحات العرض... هؤلاء جميعاً يتحركون دائماً في سياق التأثير والتأثر مع جماهيرهم. فالذين في الأعلى -بصفتهم معطِين ومنتجين- يرسلون الإشارات إلى من حولهم باستمرار، يحفّزون بها المعنيين بالخطاب، ويجهزونهم للتحرك، ويزيدون من عدد المعطِين والمنتجين بتوجيه قابلياتهم واستعداداتهم نحو آفاق "تصوراتهم" المهنية والفنية... فيحوِّلون المستقبِلين الذين قلَّت أعدادهم بمرور الأيام كل واحد منهم إلى أناس ذوي آفاق واسعة.

المعطون والمتلقون

وإذ ينتج الصانعون للأفكار ويقدمونها، يتعاطى المتلقون مع كل ما يقدَّم لهم من رأس الهرم بنظرة ماحصة متفحصة ونقدية، ويعترضون على أخطاء أولئك أو ما يعتقدون أنه خطأ حسب نظرهم.. ويضغطون على من في الأعلى فيُلجئونهم إلى حلول بديلة. فبذلك يُؤكَّد على كل ما يخص هويتهم، وتتم مراجعة أي فساد في الأساليب بإمرارها من المرشِّحات، وتُنَقَّى السلوكياتُ الخاطئة بالتقاضي والمحاسبة. ولا يمكن تبادلٌ وتفاعل من هذا النوع بين طبقات المجتمع إلا بفضل مشاركتهم جميعاً وتقاسُمهم لموروث ثقافي مشترك.

فإذا تكاتفت أمة بفئاتها المختلفة وأصبحت كـ"البنيان المرصوص" كما وصَفَها مفخرة الإنسانية ﷺ، وسَخَّرت قوتَها وطاقتها في سبيل تكوين البناء الداخلي وتناغمه، فإن الحَزن سيصير سهلاً، وسيكون من الطبيعي أن تأخذ تلك الأمة طريقها لتكون عنصراً فاعلاً في التوازن الدولي. لكنَّ تواجُد رابطة اجتماعية مؤثرة على هذا المستوى من القوة، منوطةٌ بثقافة ذاتية، قد استقرت أركانها وعايَشَتْها شرائحُ المجتمع كافة حتى غدت جزءاً من طبعها وجِبلّتها... ثقافةٍ مبنية على قيم أخلاقية تتغذى وتتنفس بها، مستندةٍ بقوة الدين القاهرةِ ومتخطيةٍ بالاستناد إليها كلَّ أشكال "التغريب"، ساندةٍ

لتصوارتنا الفنية بحيث تكون ملجأً ومأوى آمناً لها في كل مكان. وإلا فأي ثقافة لم يتوضح إطارها ومعالمها بشكل جيد، ولم تحظ بالقبول لدى كل المجتمع، فلا مناص من أنها في حالة كهذه ستصبح دائماً مدعاةً للتنازع والتناحر بين معماريي الثقافة وتلاميذهم، ناهيك عن غناء تلك الثقافة وثرائها واحتضانها! وقد يَفتح أحياناً تشاجرٌ كهذا -وبخاصة إذا كان في موضوع الفن والأخلاق- جروحاً يستعصي دواؤها.. وقد يورِث الإفراط والتدقيقُ الشديد في مسألة أخلاقية، هيمنةً وتسلطاً على المشاعر والأفكار، حتى يُوقع الفردَ والمجتمع في المِحْلِ والفقر أحياناً، وأحياناً يفتح الباب لتضييع القواعد والأخلاقَ في البديعيات، فيتلوث كل شيء بالفوضوية والمستهجنات.

ونحن إذ نتناول قضية الثقافة فبدلاً من تهيئة الأجواء والمناخ، لإشباع الغرائز باللذائذ واللهويات لمن لم تنضبط قدراتهم الروحية بعدُ.. علينا أن نزيد من نشاطاتٍ تُكسبهم المناعة لمواجهة المعضلات التي قد تواجههم في الحاضر والمستقبل، ونضع في الأساس توجيههم نحو التفكير الشمولي الذي ينمي لديهم موهبة اختيار الخير والجميل والصحيح.. وبذلك تتهيأ الأجواء لإمكانية ترجيح الأفراد للخيار الأفضل والأنفع بفضل التوجيه الإجباري-الاختياري للجو العام، والانسياقَ وراء التيار الجماهيري، إلى جانب مساندة العلوم والمعارف...

الأخلاقية والعلمية

وهكذا، بفضل التمسك بالقواعد نوعاً ما، وبفضل التوجيه الاختياري أو الجبري للبنيان الاجتماعي، سيصبح مركزُ التقاء "الأخلاقية" و"العلمية" و"الذوق الفني" مغذياً لأسلوب حياتنا، وماكنةً ساحبةً لتحركاتنا وانطلاقاتنا، فتجعلنا ننهل على التوالي لذائذَ نشوات الظفر في ميدان الخير والجمال والصحيح... ومن المهم هنا أيضاً، كيفية التفسير والتعقل "لتصور" الأخلاق والإيمان والفن ومفهوم الجمال.

إن حصر الأخلاق في تطبيق بعض قواعد صارمة.. وفهمَ الإيمان على أنه تصديق أعمى لا يحسب حساباً للعقل والمشاهدة والحس والوجدان.. وتفسيرَ الجمال بأنه: التقاط لمحة من منظر الأشياء وصبُّها في لوحات عارية وتماثيل جامدة.. وحبسَ الفن في أطر غليظة كالشعر والموسيقى والمسرح.. كل ذلك لا يعني إلا حبس الجمال وثقافةِ الجمال في مساحة ضيقة وجعْلَها ضحلة وترفاً لبعضهم.

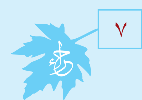
إن انبعاثنا مجدداً بثقافتنا الذاتية، يتطلب رجال قلوب متحفزين بالإيمان.. ومهندسي فكر سائحين في الغد بأفقهم الفكري.. وعباقرة يحتضنون الوجود والأحداث بتصوراتهم الفنية، ويتعرفون بتحسساتهم وتفحصاتهم الدقيقة على آفاق جديدة أبعد من الآفاق التي نحن فيها.

إن انفتاح العديد من عشاق الجمال نحو آفاق جمالية جديدة وتفسيراتهم الجديدة لها.. والهممَ العالية والقديرة التي تستحق التقدير للفنانين المهرة في الفنون وتلاميذِهم المجدين.. وألحان ذوي الأصوات الذين يبذلون قصارى جهودهم لترجع موسيقانا إلى روحها الأصلية، ومخزونَهم الثري.. والجهودَ التي يبذلها الشعراء الفطاحل والناثرون عشاق اللسان في سبيل تخطي مرحلة التقليد حيث بدؤوا يتشمون الذوق الأدبي.. كل ذلك تبدو لنا وكأنها أمارات بزوغ فجر صادق في طريق عودتنا إلى الذات. فإن يكن شعاعات فجرٍ كاذبٍ، فلا ريب أن ما يعقبه الفجرُ الصادق!

فإذا سرنا على هذا الخط، فلسوف تكون ثقافتنا الرصينة، وجذورنا المعنوية والروحية، وشخصيتنا ومحتوانا، جزءاً لا يستغنى عنه من الثقافة العالمية حينما يأتي الوقت المناسب. أما إذا بقينا على تخبطنا الذي عرفناه أمس واليوم في التزود والتغذي من مصادر ثقافة الآخرين، وانغرزنا في التقليد كلما فكرنا في الإنشاء، فلن تنجو الأمة من ذلة التبعية، ولن نتحرر من الوصاية في الشعر والموسيقى والرسم وفروع الفنون الأخرى... ولن نتمكن من إدامة وجودنا بذاتيتنا الخاصة، ولن نفلح في الوصول إلى درجة الإنتاج والعطاء.

نعم، إن لم نبدأ من فورنا بشحن أجيالنا الناشئة بشعائر ثقافتنا الذاتية، ولم نبادر بإحياء ما شحنّاه في النفوس، فسوف نَحكم على الآتين من بعدنا بأن يكابدوا حظنا العاثر في الحياة. فينبغي أن يُستنفَر كل من له قول في الموضوع -ومهندسو عالمنا الفكري خاصة- بروحية النفير العام إزاء خطب داهِم، ويحولوا البلاد من أدناها إلى أقصاها إلى مشاغل لثقافتنا الذاتية، ومدارسَ لفلسفة حياتنا الذاتية، ومختبراتِ تركيب وتحليل لمنطقنا ومحاكمتنا العقلية الذاتيتين؛ فإن بقاءنا بذاتيتنا يمر عبر انبعاثنا بذاتيتنا. ■

(*) الترجمة عن التركية: عوني عمر لطفي أوغلو.



الرسالة النبوية رسالة تربوية

عبد الوهاب بوخلخال *

إن الله ﷻ خلق الإنسان، وركب فيه العقل والإرادة والغريزة ورشحه لوظيفة الخلافة، ولكن لم يتركه هملاً يبحث عن طريقه لوحده، وإنما أضاف إلى شعاع العقل الذي كرمه به، سراجَ الوحي، ووضع السراج بأيدي صفوة من خلقه؛ اختارهم ورباهم على عينه، ثم ساقهم في سلسلة نورانية منذ آدم عليه السلام إلى سيدنا محمد ﷺ، كي ينيروا للإنسان دروب حياته ويؤهلوه إلى أن يرتقي إلى مقام الخلافة والعبودية والعمارة. وهي وظائف ثلاث قد تتكامل وتتداخل لتضبط علاقة الإنسان بخالقه وبذاته وبالكون الذي يحيط به.

وإن جوهر وظيفة الأنبياء -زيادةً على إقامة الحجة على الخلق- يكمن في إعداد الإنسان وتطهير نفسه، ليكون صالحاً لمقام العبودية المبنية على الإرادة والمحبة، أي إخراج الإنسان من الدائرة التي يكون فيها عبداً لله بالاضطرار، إلى الدائرة التي يكون فيها عبداً لله بالاختيار، وهي التي يحقق من خلالها إنسانيته وتميزه عن بقية الموجودات.

وهذا التحويل والتغيير في معنى الاتصاف بالعبودية، هو ما يمكن أن نسميه "التربية". والتربية هي عملية ليست سهلة ولا هينة، خصوصاً إذا فسدت الفطرة الإنسانية أو تشوهت بفعل تدخل المسالك التربوية البعيدة عن هداية الوحي، وهو ما حدث بالفعل كما يخبرنا القرآن، من خلال معاناة الأنبياء -عليهم السلام- من فساد فطر أقوامهم وتوارثهم لذلك الفساد والانحراف العقدي والسلوكي.

جوهر الرسالات النبوية

والذي يجعلنا نقول بأن جوهر الرسالات النبوية، هو إعداد الإنسان وتربيته ليكون أهلاً لمقام العبودية، أننا نجد القرآن الكريم عندما يقص علينا قصص الأنبياء، يبيّن أنهم -وإن اختلفوا في معالجة الأمراض الاجتماعية البارزة في أقوامهم، كالاستبداد السياسي أو الفساد الأخلاقي أو الظلم الاجتماعي أو الانحراف الاقتصادي- يشتركون في البدء بدعوة الناس إلى عبودية الله ﷻ، حيث نرى ذلك من خلال تكرر آية: ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾(الأعراف:٥٩). وحرْص القرآن على تكرار الآية حرفيًّا مع كل نبي على اختلاف زمانه ومكانه وشرعته مع بقية الأنبياء، لا يمكن أن يكون بمحض الصدفة أو دون غاية وحكمة.

إن خصائص التربية النبوية، ليست سوى انعكاس لخصائص الرسالة النبوية ذاتها. فالرسول ﷺ هو خاتم الأنبياء، ورسالته هي خاتمة الرسالات. فكان متكاملاً ومكملاً لمن سبقه، وفي الوقت ذاته، متميزاً عنهم بخصائص تتفق مع ختمه لسلسلة النبوة والرسالة، وهو ما يعني خطابه للإنسان في كل زمان ومكان.

وعلى ضوء هذا نفهم التكامل بين المعنى الوارد في حديث: "مثلي في النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وجملها وترك منها موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون لو تم موضع تلك اللبنة، وأنا في النبيين بموضع تلك اللبنة" (رواه البخاري)، والمعنى الوارد في حديث: "أُعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي، نُصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد من قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يُبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة" (رواه مسلم). فالأول ينبه إلى خاصية التكامل والتكميل، والثاني ينبه إلى خاصية التميز التي يقتضيها ختم الرسالة.

خصائص تربية الرسول ﷺ

فإذا شئنا أن نبين خصائص التربية عند الرسول ﷺ، علينا أن نبحث في خصائص الإسلام ذاته من جهة، وخصائص العلاقة بين الرسول ﷺ والناس كما يحددها القرآن من جهة ثانية. فهذه الخصائص إجمالاً يمكن تبينها من خلال نماذج من الآيات المحددة للعلاقة بين الرسول ﷺ والناس الذين أُرسل إليهم.

قال تعالى: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾(البقرة:١٥١)، وكقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ﴾(الجمعة:٢).

فالآيتان عرضتا بصورة مكثفة على طريقة القرآن البلاغية الراقية، الوظيفةَ التحويلية لرسالة النبي ﷺ التي يتم من خلالها نقل المدعوين من مستوى الأمية بكل مفاهيمها؛ أمية عدم القراءة والكتابة، أمية عدم امتلاك الكتاب، الأمية الحضارية... إلى مستوى المعرفة والتزكية وامتلاك الكتاب والحكمة. فهي عملية تحويل تنور العقل وتطهر النفس. وهل التربية في أدق معانيها إلا هذا!

أما تفصيلاً وبالنظر إلى خصائص الإسلام ذاته، فيمكن تبين خصائص التربية النبوية من خلال السمات التالية:

١-الإنسانية: فهي جاءت تستهدف الإنسان بما هو إنسان. كيف لا وهي -كما قلنا- انعكاس للإسلام الذي يمتاز بنزعته الإنسانية الواضحة الثابتة الأصيلة في معتقداته وعباداته وتشريعاته وتوجيهاته، إنه دين الإنسان.

ومن هنا رأيناها تتعامل مع الإنسان لا باعتباره ملَكاً معصوماً، ولا باعتباره شيطاناً رجيماً، ولا باعتباره بهيمة عجماء، وإنما باعتباره إنساناً رُكبت فيه نوازع الشر ونوازع الخير: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۞ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾(الشمس:٧-٨)، وتَجاوَر في كيانه العقل والغريزة والجسد والروح... قد يرتقي وقد يتسافل، قد يقوى وقد يضعف، ولكنه في كل حالاته يظل إنساناً، وعلينا أن نعامله على هذا الأساس.

ولعل من أبرز التنبيهات إلى هذه الخاصية، الجواب الذي حل من خلاله النبيُّ ﷺ الإشكالَ الذي وقع فيه الصحابي "حنظلة" ﷺ حينما سارع إلى اتهام

نفسه بالنفاق لما لاحظ ترددها بين الارتفاع الروحي إذ يكون بصحبة النبي ﷺ، والنزول إلى مستوى التعامل العادي إذ يكون بصحبة الزوجة والولد.

فعن حنظلة الكاتب التميمي الأسدي ﷺ قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فذكر الجنة والنار حتى كأنا رأي العين، فقمت إلى أهلي وولدي فضحكت ولعبت، فذكرت الذي كنا فيه، فلقيت أبا بكر ﷺ فقلت: نافقت نافقت، فقال أبو بكر ﷺ: إنا لنفعله، فذهب حنظلة فذكره للنبي ﷺ فقال:"يا حنظلة لو كنتم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة على فرشكم أو على طرقكم، يا حنظلة ساعة وساعة" (رواه مسلم).

فالتوجيه النبوي هنا، يعيد الأمور إلى نصابها، وهو أن لا ينظر الإنسان إلى نفسه ولا إلى نفوس من يربيهم خارج نطاق وصف الإنسانية. وبهذا تقف التربية النبوية موقفاً وسطاً في النظر إلى الإنسان، فلا هي ألّهته ولا هي سلبته إنسانيه، فكلا الموقفين ينتهي إلى النتيجة ذاتها وهي الحط من مكانة الإنسان كمخلوق مكرم.

فالذي يخضع لصنم أو لمظهر من مظاهر الطبيعة الظاهرة أو الخفية، يقع في أسوء أنواع العبودية فيؤول أمره إلى أن يفقد إنسانيته.

والذي ينطلق في الحياة متفلتاً من عبودية الله ﷻ مؤلهاً نفسه، يقع في عبودية لا تقل سوءاً وشرًّا عن عبودية الصنف الأول؛ إذ ليس في الدنيا أشنع من اتخاذ الهوى إلهاً يعبد من دون الله ﷻ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(الجاثية:٢٣). فالأمر يؤول أيضاً إلى أن يفقد الإنسان إنسانيته، ويقع فيما أسماه من رصدوا أمراض الحضارة الغربية المعاصرة "تشيؤ الإنسان وتسلعه" (أي تحوله إلى شيء وسلعة) فيصبح محكوماً بقوانين السوق، كما يحكم أي شيء مادي آخر، مما يفقده خصائصه الإنسانية التي كرمه الله ﷻ بها.

يقول الدكتور عبد الوهاب المسيري، شارحاً مفهوم "تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية" لدى نقاد الحضارة الغربية: "ترجمة للكلمة الإنجليزية (Dehumanization) وهي تعني إنكار وقمع تلك الصفات والأفكار والنشاطات التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات، ومنع تحقيق الإمكانات الإنسانية للإنسان مقابل خصائصه الطبيعية المادية التي يشترك فيها مع غيره من الكائنات، ومن ثم يمكن القول بأن العبارة مترادفة مع كلمة "اغتراب".

وتستخدم العبارة للإشارة إلى تلك الاتجاهات في الحضارة الحديثة التي تجرد الإنسان من إنسانيته، وتحوله إلى شيء ضمن الأشياء، أي تستوعبه وتسلعه وتنكر عليه حرية الاختيار والمقدرة على التجاوز، وتحقيق كليته الإنسانية المركبة المتجاوزة للحتميات الطبيعية المادية وللأنماط الطبيعية المتكررة".[1]

٢-الشمولية: وهذه خاصية أخرى نجدها للتربية النبوية وهي تتعامل مع الإنسان، إذ تنظر إليه كما ينظر إليه الإسلام؛ نظرة شاملة تستوعب مكوناته من عقل وروح وعاطفة وجسد وغريزة، كما تستوعب جميع أطوار حياته من طفولة وشباب وكهولة وشيخوخة، كما تستوعب أوضاعه رجلاً وامرأة، فرداً ومجتمعاً.

فالإنسان في نظر التربية النبوية متعدد الأبعاد، ولكل بعد حقه في العناية والتهذيب وتلبية الحاجات، وإلا تشوه كيان الإنسان، وفَقَدَ التقويم الأحسن الذي خلقه الله ﷻ عليه، وهو لا يكون كذلك إلا إذا كان "أحسن بحسب الظاهر والباطن".

ولعل في حرص النبي ﷺ على محاربة الإخلال بهذه الخاصية من بعض الصحابة، ما يؤيد هذا المعنى ويؤكده. فقد كان ﷺ يعالج ظاهرة ميل من يربيهم إلى بعد من أبعاد مكوناتهم -والذي يكون في الغالب البعد الروحي- على حساب الأبعاد الأخرى، فينبههم إلى فساد مسلكهم وخروجهم عن التقويم الأحسن الذي تمثله شخصيته ﷺ فتراه يربط التوجيه بسنته، ولنضرب على هذا مثالاً واحداً: عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ بعث إلى عثمان بن مظعون ﷺ فجاءه، فقال: "يا عثمان أرغبت عن سنتي؟" قال: لا والله يا رسول الله، ولكن سنتك أطلب، قال: "فإني أنام وأصلي، وأصوم وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقًّا، وإن لضيفك عليك حقًّا، وإن لنفسك عليك حقًّا، فصم وأفطر وصل ونم" (رواه أبو داود).

فالتوجيه النبوي هنا -وفي غيره من الأحاديث المماثلة- ينبه على خطورة الخروج عن السنة في التعامل مع النفس الإنسانية. فالإنسان كما خلقه الله ﷻ مركب من أبعاد وجب احترامها والوفاء بحقوقها... وإن من أخطر ما يوقع الإنسان في الشقاء والاغتراب الذي ألمحنا إليه من قبل، هو تجاهل أبعاده

المختلفة واختزاله في بُعد واحد، سواء كان روحيًّا أم ماديًّا.

والتجارب الإنسانية البعيدة عن هداية الوحي، كثيراً ما جلبت التعاسة للإنسان حين تعاملت معه على أنه كائن بسيط مكون من بُعد واحد.

نجد ذلك في ممارسة بعض "الصوفية" المتجاوزة لضوابط الشرع، والمتأثرة بالفلسفات التي ترى في إنهاك الجسد وقمع متطلباته خلاصاً للروح وتحقيقاً للكمال.

كما نجد ذلك في المسلك المقابل لدى الحضارة الغربية المعاصرة، التي ضخمت من مادية الإنسان على حساب روحه، إلى الدرجة التي اختفت -أو كادت تختفي- فيه بقية الأبعاد، مما جعل الباحثين يتحدثون في معرض نقدهم لمآلات الحضارة الغربية عن ظاهرة "الإنسان ذي البُعد الواحد". وعن هذه الظاهرة يقول الدكتور المسيري: "هي عبارة ترد في كتابات "هربرت ماركوز" (أحد مفكري مدرسة فرنكفورت) وتعني "الإنسان البسيط غير المركب". والإنسان ذو البعد الواحد هو نتاج المجتمع الحديث، وهو نفسه مجتمع ذو بعد واحد، يسيطر عليه العقل الأداتي والعقلانية التكنولوجية والواحدية المادية، وشعاره بسيط هو التقدم العلمي والصناعي، وتعظيم الإنتاجية المادية، وتحقيق معدلات متزايدة من الوفرة والرفاهية والاستهلاك، وتهيمن على هذا المجتمع الفلسفة الوضعية التي تطبق معايير العلوم الطبيعية على الإنسان، وتدرك الواقع من خلال نماذج كمية ورياضية، وتظهر فيه مؤسسات إدارية ضخمة تغزو الفرد وتحتويه وترشده وتنمطه وتشيئه وتوظفه لتحقيق الأهداف التي حددتها".

٣-التكامل والتوازن: لا تكتفي التربية النبوية بأن تنظر إلى الإنسان في إطار إنسانيته ومن خلال أبعاده المتعددة، وإنما تحرص -كحرص الإسلام- على إحداث التناغم بين هذه الأبعاد المختلفة، وذلك بإضافة مفهوم التكامل والتوازن إلى مفهوم الشمولية.

والتكامل والتوازن يعرضان في التوجيهات النبوية بطريقة تجعل منهما صفة واحدة، بحيث يكون في الإنسان تكامل متوازن وتوازن متكامل.

ومعنى هذه الخاصية، أن يعطى لكل بعد من الأبعاد التي أقررنا بها من خلال خاصية "الشمولية" دوره وحقه، على أن يكون هذا الدور متناسقاً ومتناغماً مع بقية الأجزاء، فتنتفي بذلك مقولة: "هذا أولى من هذا"، لتحل محلها مقولة: "أعط لكل ذي حق حقه".

فالمنهج التربوي الذي تقدمه السنة النبوية، يستهدف إنساناً تتكامل أبعاده وتتوازن. فهو منهج "يوازن بين الروح والجسم، وبين العقل والقلب، وبين الدنيا والآخرة، وبين المثال والواقع، وبين النظر والعمل، وبين الغيب والشهادة، بين الحرية والمسؤولية، وبين الفرد والجماعة، وبين الاتباع والإبداع".[٢]

وصفة التكامل والتوازن، يمكن أن نستدل عليها بالحديث السابق وبأمثاله من الأحاديث التي جاءت بنفس المعنى، كما يمكن أن نستنتجها من الأحاديث التي يحرص من خلالها الرسول ﷺ على بيان مراتب الأحكام وتكامل فوائدها وإن لم تكن لها نفس الدرجة، كحديث: "ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضته عليه" (رواه البخاري). فهنا التكامل والتوازن بين الفرض والنفل وذكر الفائدة لكل منهما.

كما يمكننا أن نلمح التوازن والتكامل في حديثه ﷺ عن الدنيا والآخرة، وعن الموت والحياة، كقوله: "اللهم أحيني ما كانت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرا لي" (رواه أبو داود).

هذا دون أن نغفل عن ربط هذه الخصائص البارزة بالغاية من التربية النبوية، أعني بذلك جوهر الرسالة -كما ألمحنا إليه من قبل- وهي تعبيد الإنسان لله ﷻ. يقول الشاطبي (ت ٧٩٥ هـ): "الشرع إنما جاء بالتعبد، وهو المقصود من بعثة الأنبياء عليهم السلام، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾(النساء:١)، ﴿الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۞ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللهَ﴾(هود:١-٢)...".[٣]

كما أن هذه الصفة بجملتها، تضمنت صفات أخرى تكون كاللازم عنها، مثل "الواقعية" وهي من مقتضيات الإنسانية، و"الوسطية" وهي من مقتضيات التكامل والتوازن، و"الاجتماعية" وهي من مقتضيات الشمولية.. ■

(*) كاتب وباحث جزائري.

الهوامش

(١) موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، للدكتور عبد الوهاب المسيري، المجلد الأول، جـ:٤، الباب:٥، "تجريد الإنسان من خصائصه الإنسانية".

(٢) كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط، منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي، للدكتور يوسف القرضاوي، ص:٢٤.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، تحقيق عبد الله دراز، دار المعرفة (بيروت)، جـ:١، ص:٦١.

الإعجاز العلمي في وصف مشاهد الساعة في القرآن والسنة النبوية

أ.د. زغلول النجار *



جاء ذكر "الساعة" (بمعنى: آخر الوقت من الحياة الدنيا الذي عنده يبدأ هدم النظام الكوني) ٤٠ مرة في القرآن الكريم، وعشرات المرات في الأحاديث النبوية الشريفة. ومن ذلك قول ربنا ﷻ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾(الأعراف:١٨٧).

ومن أقوال المصطفى ﷺ ما يلي: "لا تقوم ا لساعة حتى يظهر الفحش والتفحش وحتى يعبد الدرهم والدينار" (رواه أحمد). وروي عنه ﷺ أنه كان إذا هبت ريح شديدة تغير لونه فقال: "تخوفت الساعة" (رواه البخاري). كما جاء التعبير بلفظ "الساعة" عن جزء من أجزاء الزمان ٨ مرات في كتاب الله ﷻ.

وهناك ثلاثة أحداث كونية كبرى هي: "الساعة" و"القيامة" و"الآخرة"، تُجمع كلها تحت اللفظ الأخير "الآخرة" لتسارع وقوعها تباعاً كأنها حدث واحد.

أما "القيامة" فجاءت الإشارة إليها في القرآن الكريم ٧٠ مرة بتعبير "يوم القيامة". والقيامة أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة، وأدخلت فيها "الهاء" تنبيهاً على وقوعها دفعة واحدة. والتعبير القرآني "يوم القيامة" يقصَد به؛ يوم البعث من الأرض الجديدة التي يخلقها ربنا ﷻ مع السموات الجديدة بعد إتمام هدم الكون الحالي، وذلك لقول ربنا ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا للهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(إبراهيم:٤٨).

انهدام النظام الكوني

وكل ما بعد تهدم النظام الكوني الحالي، هو من الأمور الغيبية التي نقبل ما جاء عنها في كتاب الله ﷻ وفي أحاديث خاتم أنبيائه ورسله -صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين- دون محاولة تفسيرها بقوانين الدنيا، لأن البعث والحشر والنشور والعرض الأكبر والميزان والصراط والجنة والنار، كل ذلك له من السنن والقوانين ما يغاير سنن الدنيا تماماً.

وأما "الآخرة" أو "الدار الآخرة"، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم ١١٥ مرة للتعبير عن النشأة الثانية في مقابلة النشأة الأولى، وهي الدنيا أو الدار الدنيا. وقد توصف النشأة الثانية بـ"الآخرة" تارة، وبـ"الدار الآخرة" تارة أخرى، وتقديرها: دار الحياة الآخرة، وهي كلها في عالم الغيب المطلق الذي لا تستطيع المعارف المكتسبة أن تبدي فيها قولاً، إلا الذي جاء عنها في كل من كتاب الله ﷻ وأقوال المصطفى ﷺ. ومن هنا كان اقتصارنا على الإعجاز العلمي في وصف مشاهد الساعة في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لإمكانية تفسير ذلك بواسطة المعارف



المكتسبة في الدار الدنيا. وهذه المراحل الثلاث: "الساعة"، "القيامة"، "الآخرة"، كثيراً ما تُجمع تحت مسمى "الآخرة" أو "يوم القيامة" لسرعة تتابعها كأنها حدث واحد.

من أوجه الإعجاز القرآني والنبوي في وصف بعض مشاهد الساعة؛ قال رسول الله ﷺ: "من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي العين فليقرأ ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾، و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾" (رواه أحمد).

يقول ربنا ﷻ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾(التكوير:١). الشمس نجم عادي متوسط الحجم، يبعد عن الأرض مسافة تقدّر بحوالي ١٥٠ مليون كيلومتر في المتوسط. ونتيجة لهذا البعد الهائل نراها من سطح الأرض مكورة وهي في الحقيقة ليست مكورة، لاندفاع ألسنة طويلة من الطاقة من على سطحها، لأنها على هيئة فرن نووي عملاق، يتم بداخله عملية الاندماج النووي بين نوى ذرات الهيدروجين منتجة نوى ذرات الهيليوم. وتنطلق الطاقة التي ترفع درجة حرارة قلب الشمس إلى ١٥ مليون درجة مطلقة. و"الهالة الشمسية" (Corona) قد تمتد إلى أكثر من عشر مرات قدر نصف قطر الشمس، ويصاحبه العديد من الظواهر على سطح الشمس التي منها:

١- ظاهرة الوهج أو الومض الشمسي (Solar Flares): وهي ظاهرة تصحب تكوّن البقع الشمسية، ويصاحبها انبعاث كمية هائلة من الطاقة المستمدة من المجال المغناطيسي المحيط بالبقع الشمسية، وهناك انفجارات في مدى واسع من المجالات الراديوية، وهناك ومضات خلال الهالة الشمسية بسرعة قد تتراوح بين ١٠٠٠ كم/ث-١٠٠,٠٠٠ كم/ث، وهي ومضات من النوع الانفجاري، وقد يصل ذلك إلى حدود العاصفة التي تمكث طويلاً.

٢- ظاهرة الشطوط الشمسية (Solar Plagues): وهي تشكيلات لامعة من النشاط الشمسي على هيئة ألسنة اللهب، مندفعة من حافة قرص الشمس، وعادة ما تقترن بالبقع الشمسية وقد تبقى لعدة أسابيع.

وذلك فإن الشمس حاليًا ليست كرة كاملة الاستدارة نتيجة لهذا النشاط، وأن تكورها بانسحاب ألسنة اللهب إلى داخلها هو إشارة إلى بداية ضعف النشاط النووي في داخلها. وفي ذلك إشارة إلى بدء انهدام النظام الكوني أي بداية "الساعة".

٣- ظاهرة الرياح الشمسية (Solar Winds): وهي عبارة عن جسيمات كونية مستمرة الاندفاع من الشمس بسرعات كبيرة تصل إلى خارج حدود بلوتو على هيئة نفاثات متواترة عالية السرعة قد تصل إلى ١٠٠٠ كم/ث. وفي ذلك قال المصطفى ﷺ: "الشمس والقمر يكوران يوم القيامة" (رواه البخاري).

٤- ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾(التكوير:٢): لمعان الشمس هو مقياس لإشعاعه، ويعرف من ذلك اللمعان الحقيقي "المطلق"، واللمعان الظاهري، والأخير هو مقياس لشدة ما يصل إلى الأرض من إشعاع النجم. والنجوم تتفاوت في درجات لمعانها (Brightness)، وذلك لتباين النجوم في كل من قوة إشعاعها وبعدها عن الأرض. وعن طريق معرفة درجة لمعان النجم يمكننا معرفة الأبعاد الأخرى له، من مثل طول قطره وبعده عنا. ويسمى اللمعان الظاهري باسم "قدر النجم"، وتتغير شدة لمعان النجم. وعند احتضار النجم يبدأ في الانكدار، أي فقدان قدر كبير من درجة لمعانه. ومن هنا

كانت الإشارة في هذه الآية الكريمة إلى أن انكدار النجوم، هي من علامات الساعة ومضةً معجزة، لأن هذه الحقيقة لم تدرك إلا في أواخر القرن العشرين.

والأقدار النجمية (Stellar Magnitude) هو مقياس عددي يعبر عن درجة لمعان النجوم، وهو مقياس لوغاريتمي ينبني على أن النجوم الألمع يعبَّر عن درجة لمعانها بأرقام أقل. واستضاء النجم (Stellar Luminosity) هي إنتاجه من الطاقة في الثانية الواحدة إما بوحدات السعر الحراري أو الوات الكهربائي أو بوحدات استضاءة الشمس.

٥- ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾(المرسلات:٩). في سنة ١٩٧١ للميلاد اكتشف علماء الفلك أن بعض النجوم العادية تصدر وابلاً من الأشعة السينية، ولم يجدوا تفسيراً علميًّا لذلك إلا وقوعها تحت تأثير أجرام سماوية غير مرئية ذات كثافات خارقة للعادة، ومجالات جاذبية عالية الشدة، وذلك لأن النجوم العادية ليس في مقدورها إصدار الأشعة السينية من ذاتها. وقد سميت تلك النجوم الخفية باسم "الثقوب السود" (Black Holes) لقدرتها الفائقة على ابتلاع كل ما تمر به، أو يدخل في نطاق جاذبيتها من مختلف صور المادة والطاقة. وقد سماها القرآن باسم ﴿الْخُنَّسِ ۞ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ﴾(التكوير:١٥-١٦)، واعتبرها الفلكيون مرحلة الشيخوخة في حياة النجوم العملاقة، وهي مرحلة طمس حقيقية تسبق انفجارها وتحولها إلى دخان السماء، ولذلك اتخذها القرآن الكريم علامة على الساعة، فقال ﷻ: ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾.

٦- ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾(المرسلات:٩). السماء الدنيا متينة البنيان، شديدة الترابط، ترتبط أجرامها كلها بخطوط الجاذبية، والتي إذا انهارت تفككت تلك الروابط فتحدث الفرج في السماء قبل انهيارها على ذاتها بالكامل.

٧- ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾(المرسلات:١٠). تترابط اللبنات الأولية للمادة في داخل الذرات بواسطة قوتين نوويتين: هما القوة النووية الشديدة، والقوة النووية الضعيفة. وتترابط الذرات في داخل جزيئات المادة بالقوة الكهربائية/المغناطيسية. فإذا زالت تلك القوى، نرى صخور الجبال تتطاير في الهواء كالعهن المنفوش، وهذا هو وصف نسفها، ولذلك جاء في سورة التكوير قول ربنا ﷻ: ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾(التكوير:٣).

٨- ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾(التكوير:٦). تقوم محيطات الأرض كلها اليوم وأعداد من بحارها على خسوف أرضية عميقة تصل أعماقها إلى ٦٥ كم، فتخترق الغلاف الصخري لقاع المحيط أو البحر لتصل إلى نطاق يسميه العلماء باسم "نطاق الضعف الأرضي"، توجد فيه الصخور في حالة منصهرة فتندفع بملايين الأطنان لتسجر قيعانها بصهارة تزيد درجة حرارتها عن ألف درجة مئوية. وإذا كان ذلك يحدث في الدنيا فالله ﷻ قادر على مضاعفة هذا النشاط البركاني فوق قيعان المحيطات والبحار، حتى يرى هذا النشاط فوق مستوى سطح الماء.

٩- ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾(القيامة:٩). بقياسات دقيقة بواسطة أشعة الليزر، ثبت أن القمر يتباعد عن الأرض بمعدل ٣-٤ سم سنوياً، وباستمرار هذا التباعد يمكن للشمس أن تبتلع القمر فتجمع مادتيهما في جرم واحد. والحدث سيتم في الآخرة بأمر من الله ﷻ وليس بهذه السنة. ولكن من رحمته بنا أبقى ربنا ﷻ لنا ظاهرةَ تباعُد القمر عن الأرض، حتى نفهم إمكانية حدوث ذلك في وقت تهدُّم النظام الكوني، أي في وقت الساعة.

١٠- ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾(الرحمن:٣٧). من مراحل احتضار النجوم ما يعرف باسم "السدم الكوكبية" التي تظهر في المنظار على هيئة وردة حمراء مدهنة، تتكون من طبقات غازية متوهجة ومتمددة بسرعات تتراوح بين ١٠-١٥ كم/ث في المتوسط، وإن وصلت أحياناً إلى ١٠٠٠ كم/ث، وفي درجات حرارة تصل إلى أكثر من مائة ألف درجة مطلقة حول النجم الذي تكدس على ذاته في داخل جسم السديم.

١١- ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾(الانفطار:١). الانفطار هو الانشقاق والتصدع والانفراج الذي يحدث نتيجة لانفصام عرى الجاذبية العظمى التي تربط كل شيء في السماء الدنيا بأمر من الله ﷻ القائل: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ﴾(الانشقاق:١). والقائل: ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾(المرسلات:٩)، والقائل: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾(النبأ:١٩).

١٢- ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾(الانفطار:٢). تنقسم كواكب المجموعة الشمسية إلى كواكب صخرية هي: عطارد، الزهرة، الأرض، المريخ، بلوتو، والكويكبات، وسيدنا؛ وكواكب غازية هي: المشتري، زحل، يورانوس، ونبتون. وكل من الصنفين ينتهي أجله بالانفجار والانتثار. وهنا تتضح ومضة الإعجاز العلمي في التمييز بين نهاية النجوم بالانكدار ثم الطمس ثم الانفجار للعودة إلى دخان السماء.

١٣- ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا



﴿أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾(الأنبياء:١٠٤). في مطلع القرن العشرين ثبت لعلماء الفلك، أن المجرات من حولنا تتراجع متباعدة عنا وعن بعضها البعض، بسرعات تتراوح بين ٦٠,٠٠٠-٢٧٢,٠٠٠ كم/ث. وقالوا إنه إذا عدنا بهذا التوسع إلى الوراء مع الزمن، فلابد من تكدس الكون على ذاته في نقطة متناهية الضآلة في الحجم تكاد تقترب من الصفر، انفجرت فتحولت إلى سحابة من الدخان خلقت منها الأرض وباقي أجرام السماء، وسموا هذه النظرية باسم نظرية "الانفجار العظيم" (The Big Bang). وسبق القرآن الكريم بذكرها تحت مسمى "فتق الرتق". والانخفاض الشديد في درجة حرارة الكون من ملايين الدرجات عند فتق الرتق إلى ٣ درجات مطلقة الآن، يشير إلى تناقص القوى الدافعة لتوسع الكون، مما يحتم توقفها في أية لحظة من المستقبل. وحينئذ تبدأ قوى الجاذبية في تكديس الكون على ذاته، حتى يعود إلى سيرته الأولى، وسموا ذلك باسم "نظرية الانسحاق الشديد" (The Big Crunch). وقد سبق القرآن الكريم بأكثر من ١٤٠٠ سنة في الإشارة إلى طي السماء وإعادتها سيرتها الأولى قبل فتق الرتق، وهذا من أوضح المعجزات العلمية في كتاب الله، ومن أعظم أوصاف الساعة.

١٤- ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾(إبراهيم:٤٨). هذه الآية الكريمة هي الفارقة بين أحداث الساعة والدار الآخرة، لأنها تحدد أن البعث (القيامة) سوف يتم من أرض غير أرضنا الحالية، وتحت سماوات غير السماوات المحيطة بنا في دار الدنيا. ولكن من طلاقة القدرة الإلهية أن الأرض الجديدة سوف تحتوي كل ذرات أرضنا الحالية التي تحمل بقايانا بعد الموت، والتي سوف نُبعث منها كما فصل رسول الله ﷺ في حديث عجب الذنب. وهذه الآية الكريمة من أمور الغيب الذي لا تستطيع المعارف المكتسبة أن تقول فيه شيئاً. ولكن من المنطقي أن الكون بعد طيه على ذاته على هيئة الرتق الأول، لابد وأن يعاود الفتق والتحول إلى سحابة من الدخان، يُخلق منها أرض غير أرضنا، وسماوات غير السماوات المحيطة بنا كما فَصلت هذه الآية الكريمة.

ملخص

تستخدم التعبيرات القرآنية الثلاثة: "الساعة"، "القيامة"، و"الآخرة" كمرادفات لأمر واحد.

و"الساعة" هي آخر الوقت من الحياة الدنيا الذي يبدأ به "انهدام الكون"، وعلى ذلك فإنه من الممكن تفسير كل الأحداث المرافقة لها باستخدام المعارف المكتسبة.

أما تعبير "القيامة" أو "يوم القيامة" فيقصد به "يوم البعث من القبور". والقرآن الكريم يؤكد على أن ذلك سيتم من أرض جديدة وتحت سماوات جديدة، يَستبدل ربنا ﷻ بهما أرضنا الحالية، والسماواتِ المحيطة بنا اليوم في دار الدنيا الفانية. ومن طلاقة القدرة الإلهية، أن الأرض الجديدة ستحوي كل مكونات أرضنا الحالية التي سوف نبعث منها. ويعتبر يوم البعث فاصلاً حقيقيًّا بين كل من "الساعة" و"الدار الآخرة" التي سيتم فيها الحشر والحساب والجزاء بالخلود، إما في الجنة أبداً أو في النار أبداً.

ومن أعظم المعجزات العلمية في كتاب الله ﷻ، وفي سنة خاتم أنبيائه ورسله -صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين- وصفُ مشاهد الساعة التي لم يسبق أنْ تعامل معها علميًّا أيُّ من المفسرين أو المشتغلين بالإعجاز العلمي.

وهذه المشاهد للساعة التي جاءت في عشرات الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة، تؤكد على صدق القرآن الكريم وسبقه في كل إشارة علمية جاء بها، وصدق النبي الخاتم الذي تلقاه في كل كلمة نطق بها. ■

(*) أستاذ علوم الأرض ورئيس لجنة الإعجاز العلمي بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية / مصر.





كيف نبني شخصيتنا الفاعلة

د. سليم أيدين *

عندما نسعى إلى تربية أناس صالحين ذوي شخصيات متميزة، مستقيمين في تصرفاتهم وأقوالهم، نستطيع عندها أن نعيد مكانتنا التي فقدناها منذ سنين، ونُوصل أنفاسنا وأنفاس أجدادنا الأجلاء المليئة بالحب والرحمة إلى كل بقعة على تربة هذه الأرض. وقد يرتبط هذا بالاهتمام الخاص في تربية الشخصية في مدارسنا والقدرة على نقل القيم النبيلة إلى أطفالنا في الحاضر والمستقبل.

من أهم الحاجات الأساسية في حياة الإنسان أن توضع بعض الحدود لتصرفاته، وأن تُحترم هذه الحدود. وقد يتم التصريح عن هذه الحدود التي يجب احترامها في القوانين.

إن هذه الأنظمة والقوانين تبيّن لنا الطرق التي نستطيع من خلالها منع نمو الأعشاب الضارة في حديقتنا. عندما يراعي الفرد هذه الحدود المكتوبة أو غير المكتوبة، المرئية أو غير المرئية، يتحول إلى إنسان ذي شخصية عالية مستقيمة. أما إذا قام هذا الإنسان بمخالفة هذه الأنظمة التي تحافظ على الحياة الاجتماعية ورفض تطبيقها، فإنه سوف يدمر نفسه بنفسه عاجلاً كان أم آجلاً.

إن أكبر عقبة أمام التحسين والإصلاح، هي ألا يتحمل الإنسان أية مسؤولية، وأن يعيب الآخرين دائماً دون الالتفات إلى عيوب نفسه التي لا تعد ولا تحصى. وإذا نسي الناس صدق ضميرهم، سخر منهم ضميرهم ودفعهم إلى إيجاد الحجج والمبررات لكل أقوالهم وأفعالهم، حيث هناك رغبات جُبِلَت عليها فطرة الإنسان تشكل الأساس لخرقه القواعد والقيم الأخلاقية. نعم، إن الطموح إلى النجاح والفوز والصدارة والارتقاء، والصعود إلى القمة، والشهرة والتباهي على الآخرين... تقود الإنسان إلى خرق القواعد والأنظمة. ولكن إذا استطاع هذا الإنسان تربية شخصيته وأعدها للتعامل الصحيح مع حوادث الحياة، عندها يمكنه كبح طموحاته هذه وتوجيهها ضمن الأطر المشروعة، ووفق المبادئ والقيم الأخلاقية السامية.

الصراع الذي يعيشه الإنسان في داخله تجاه تربية شخصيته، تجعله يغدو ويروح بين الالتزام والمعارضة للقيم الأخلاقية والقوانين، وبين رغبة امتلاك كل شيء ومقاسمته مع الآخرين، وبين الشعور بالخضوع للأنظمة الراهنة أو عصيانها. لكن يجب ألا ننسى أنه لا أحد يستطيع أن يُرغم الإنسان على القيام

بشـيء دون رغبتـه وإرادته، فـإذا تم ذلك فهـذا يعني أن ذلك الإنسان يعيش ضعفاً في الإرادة والشخصية.

هناك مقولتان تعدان موضوعاً مشتركاً بين اليونانيين القدماء والبابليين والسـومريين، الأولى: "اعرف نفسك" والثانية: "كن معتدلاً في كل شـيء". تشـير هاتان المقولتان إلى مدى أهمية تربيـة الشـخصية في جميـع الثقافـات. فإنهما لافتتـان للنظر إلـى حدٍ بعيد، خاصة مـن ناحية التأكيد على أهمية الوسـطية والتـوازن. هنـاك نقطة أخرى مشـتركة بين الثقافـات في تربية الشـخصية وهي أن يعرف الإنسـان عيوبه، وأن يتأمل ملياً في كيانه وذاته حتى يسـتطيع رؤية عالمـه الداخلي وصفاء روحه وجوهره. إن معرفة الذات خصلة ضرورية ليس فقط من أجل الحصـول على شـخصية قوية، بل من أجـل معرفة خالق هذه الذات ومربيها. وكم أحسن القائل عندما قال: "اعرف نفسك، وليكن مرادك معرفة الله، ومَن عرف نفسه، فقد عرف الله".

تربية الشخصية

إن الطريق التي تُكسِـب الإنسان شيمته وشخصيته، ليس فقط بالتركيز على الأخطاء والمساوئ والابتعاد عنها، إنما بالتركيز علـى الصـواب والخير والسـعي مـن أجلهمـا. إذن، لا يكون الإنسـان ذا شـخصية مثالية وأخـلاق عالية برفضه للمسـاوئ فقـط. فمثـلاً، إذا أردنـا أن نقيـم حديقة جميلة فـلا يكفي أن نزيل الأعشاب البرية عن تربتها، إنما يجب العمل على غرس الأزهار الجميلة ورعايتها أيضاً. فإزالة الأعشـاب البرية ما هو إلا عمل يسـاعد علـى نمو الأزهار فقط، أمـا العناية بالأزهار ورعايتها فهو عمل مختلف تماماً. السعي وراء الخير والفضيلة وغرسـها فـي حياتنا حتى لا يبقى مكان للشـر، أهم بكثير من الحيلولـة دون الإضرار ورفض الشـر قـولاً. يوجد داخل كل إنسـان حديقـة تعكس شـخصيته وعالمه الجواني، والأشـياء التـي تربّى في هذه الحديقة تكون مرآة لسـلوك هذا الإنسـان وتصرفاته. كما أننا إذا لم نغرس في حديقتنا الطبائعَ والعادات الحسـنة وفق مزاجنـا وروابطنـا الخلُقية، فيسـتحيل أن نكون أناساً صالحين. وإن كانت الروابط الخلُقية أو سماتنا المزاجية تشبه أنواع التربة المختلفة فإن سماتنا الشخصية تشبه الأزهار التـي تنمو في تلك التربة. إذا فكـر الناس ملياً وبذلوا قصارى جهدهم وطاقاتهم في زراعة الأزهار ورعايتها، عندها سيزداد عدد الناس الذين يتحلون بالشخصية القوية المثالية.

ولابـد فـي هـذا الصـدد -وبعـد هـذه الشـروح النظريـة القصيرة- أن ننتقل إلى هذه الأيام التي نعيش فيها، ونقول: إن نجاح الديمقراطية اليوم يرتبط بمدى امتلاك أفراد المجتمعات الشـخصية الذاتيـة، وإن الديمقراطية التي تنسـى أن الإنسـان كائن أخلاقي والتي لا تبالي بتطوير الشـخصية لدى الفرد، لا يمكـن أبـداً أن تنجح وتصل إلى بر الأمـان، لأن الديمقراطية هـي نظام يتبناه الفضلاء والعقلاء الذيـن يملكون القدرة على حمايته والحفاظ عليه.

الإنسـان الانتهازي أو الذي لا يفكر إلا بنفسـه، يمكن أن يسـتغل قلـب الآخر وروحه وبدنـه دون أن يخالـف القوانين والأنظمة، أي يمكن أن يمتثل الفرد للنظام، ولكن يمكن أيضاً أن يكون سيء الخلُق. فمن أهم شروط الكمال الأخلاقي أن يكون المرء ذا شخصية وضمير يستطيع من خلالهما رسم الحدود في المكان الذي يخلو من حدود مرسومة. ومن ثم فإن كل ما هو قانوني ليس بالضرورة أن يكون أخلاقياً، لذلك نرى هناك فرقاً بين ما هو موافق للقانون وبين ما هو موافق للحق، ولا يمكن أن يسـدّ هذه الفجوة إلا أصحاب الشخصيات العالية، فحيثما ينتهـي القانـون أو يبدي خلـلاً، يحلّ الإيمان مكانه وتتسـارع القيـم الأخلاقيـة التـي تتغذى من الضمير بسـد هـذا الخلل.

الشخصية في تحقيق السلام

فلنتـوج هـذا بمثـال مـن التاريـخ، ففي بدايـات عهـد الدولة العثمانية، شـغل "دورسـون فقيه" قاضي مدينة بورصة، وظيفة تناسب مزاجه وطبيعته. وكان رئيس المخابرات يقدم للقاضي "دورسـون فقيه" المعلومـات حول الفتنة والفسـاد والأقاويل التـي اندلعـت بين الأهالي في تلك الفترة، وقد كان من ضمن المعلومـات التـي قدمهـا، المخططـات التـي وضعـت لقتـل القاضي "دورسـون فقيه". ولكـن دعونا نرى مدى أهمية تربية الشخصية في تحقيق السلام في الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال تقديم مقطع من الحوار الذي دار بين عضو المخابرات وبين القاضي "دورسون فقيه":

عضـو المخابرات: إن كل ما قلتُه، دليل على ظهور آلاف الأسهم المشدودة لرمي "دورسون فقيه" في قلبه.

دورسـون فقيه: ما قلتَـه صحيح، ولكنه صحيح من جانب العقل والمنطق. ولكنك لم تر بأم عينيك ما تتحدث عنه أليس كذلـك؟ لم تسـمع أيـاً منه بأذنيـك. هل رأيـتَ بعينيك، وهل سـمعتَ بأذنـك؟ هل رأيـتَ زيداً يقول هذا الكلام أو سـمعته حتى توجه إليه التهم؟

عضـو المخابرات: كلا! ما رأيتُ وما سـمعتُ. لكن أظن وأعتقد وأعرف أنه كذلك.

دورسـون فقيه: وهل يُحكَم على شـيء بالاعتقاد والظن؟ فليس هذا بدليل.

عضو المخابرات: علمتُ الخبر من رجالي وأنا أثق بهم.

دورسون فقيه: يجب الاستماع إلى رجالك ورؤية أدلتهم.

عضـو المخابرات: أنا لا يهمني الحكم، إنما دلني على ما ينبغي عليّ فعله.

دورسـون فقيه: إن كان الطريق الذي سـأدلك عليه يسوق بريئاً إلى الموت، فكيف أكفّر عن ذنبي بعد ذلك؟

عضو المخابرات: لو كان مكاني شخص آخر لفقد عقله. ولكنها "الدولة"، "ستفقد الدولة سيطرتها وتوازنها" يجب ردع مَن يسعون إلى هدم الدولة يجب معاقبتهم...

دورسـون فقيـه: إذا كانـت الدولـة دولـة، فالإنسـان أيضاً إنسـان. لذلك يجب أن تتضح تهمة هذا الإنسـان وتثبت حتى يحكَم عليه. وماذا لو قال الشـخص الذي تقول عنه إنه مذنب "أنا أقوم بهذا العمل من أجل الدولة"؟

عضـو المخابرات: ولكن يا دورسـون فقيه! المكان الذي توجه إليه الأسهم هو أنت. أوَما تخاف الموت؟

دورسـون فقيـه: أنـا لسـتُ الدولـة. روح دورسـون فقيه، ليسـت الدولـة. إذا مـتّ ستحاسِـب الدولةُ المذنـبَ. لكن لا أسـتطيع أن أضع الدولة في موضع التهمة لأبقى حياً. فليعف الله عن تقصيرنا جميعاً...

فهـذا الحوار يبين لنا أن شـخصية الفـرد تلعب دوراً مهماً فـي توجيه ذاته، حتـى وإن كانت القوانيـن والقواعد موجودة تحت إمرته، فإن ضميره وشـعوره بالمسـؤولية ثم مخافته من يوم الحساب تمنعه من اقتراف أي خطأ أو جريمة. إنه يفضِّل أن تتعرض نفسـه للظلم والمـوت، ويتجنب ظلم الآخر. لأن الإنسان يحصد ما يزرعه في حقل عالمه الجواني.

نحن عندما نسعى إلى تربية أناس صالحين ذوي شخصيات متميزة، مسـتقيمين في تصرفاتهم وأقوالهم، عندئذ نستطيع أن نعيد مكانتنا التي فقدناها منذ سـنين، ونُوصل أنفاسنا وأنفاس أجدادنـا الأجـلاء المليئة بالحب والرحمة إلـى كل بقعة على تربـة هـذه الأرض. كمـا أن هذا يرتبط بالاهتمـام الخاص في تربية الشـخصية في مدارسـنا، والقدرة على نقـل القيم النبيلة إلى أطفالنا في الحاضر والمستقبل. ■

(*) كاتب وباحث تركي. الترجمة عن التركية: محمد صواش.



جُدْ بالأفكار الجديدة والآراء السديدة.. كن سبّاقا في كل شيء؛ مِعْوانا في الأزمات، مِقْداما في الملمّات.. ولكن إياك أن تَعْظُم في عين نفسك وتكبُر "أناك" حتى تسد الآفاق، فلا ترى غيرك ولا تعجب بسواك، فيتبدد إخلاصك، ويبطل عند الله عملك..

* * *

النمل

حشرات اجتماعية

أ.د. محمد راتب النابلسي *

النملة حشرة اجتماعية راقية موجودة في كل مكان وفي كل وقت، بل إن أنواع النمل تزيد عن تسعة آلاف نوع. وبعض النمل يحيا حياة مستقرة في مساكن محكمة، وبعض النمل يحيا حياة الترحال كالبدو تماماً، وبعضه يكسب رزقه بجدّه وسعيه، وبعضه يكسب رزقه بالغدر والسيطرة... والنمل حشرة اجتماعية تموت إذا عُزلت عن أخواتها ولو توافر لها غذاء جيد ومكان جيد وظروف جيدة، كالإنسان؛ إذا عزلته في مكان بعيد عن الضوء والصوت والساعة والزمن والليل والنهار عشرين يوماً، فإنه يفقد توازنه العقلي.

والنملة تعلِّم الإنسان درساً بليغاً في التعاون؛ فإذا التقت نملة جائعة بأخرى شبعى، تعطي الشبعى الجائعة خلاصات غذائية من جسمها؛ ففي جهازها الهضمي جهاز ضخ تُطعم به. كما أن للنمل مِلكة كبيرة الحجم، مهمتها وضع البيوض وإعطاء التوجيهات، ولها مكان أمين في مساكن النمل، وهي على اتصال دائم بكل أفراد المملكة.

الحياة الاجتماعية

والنملات العاملات لها مهمات متنوعة؛ من مهمات العاملات تربية الصغار، وهذا يشبه قطاع التعليم. وفي النمل عساكر لها حجم أكبر، ولها رأس صلب كأن عليه خوذة، وهذا يشبه قطاع الجيش في حراسة المِلكة وحفظ الأمن وردّ العدوان. ومن مهمات العاملات تنظيف المساكن والممرات، وهذا يشبه قطاع البلديات. ومن مهمات العاملات سحب جثث الموتى من المساكن ودفنها في الأرض، وهذا يشبه مكاتب دفن الموتى. ومن مهمات العاملات جلب الغذاء من خارج المملكة، وهذا يشبه قطاع المستوردين. ومن مهمات العاملات زرع الفطريات، وهذا يشبه قطاع الزراعة. ومن مهمات العاملات تربية حشرات تعيش النمل على رحيقها، وهذا يشبه قطاع مربي الماشية...

النمل يبني المدن ويشق الطرقات ويحفر الأنفاق ويخزن الطعام في مخازن وفي صوامع. بعض أنواع النمل يقيم الحدائق ويزرع النباتات، وبعض أنواع النمل يقيم حروباً على

قبائل أخرى يأخذ الأسرى من ضعاف النمل المهزوم.

روح الجماعة والتفاني

قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ﴾(النمل:١٨).

لقد أثبت الله ﷻ من خلال هذه الآية للنمل الكلام ونوعاً من المعرفة، كما أن الله ﷻ أثبت للنمل الروح الجماعية، فلم تفكِّر النملة في إنقاذ نفسها بشكل أناني، بل حذَّرت أصحابها من تحطيم سليمان وجنوده لهم، مما يدُل على روح الجماعة والتعاون والتفاني المفطورة عليها.

للنملة مخ صغير وخلايا عصبية وأعصاب لتقدير المعلومات والخرائط، كي تهتدي بها إلى مواقع الغذاء وإلى أوكارها. وإن النملة تملك نوعاً من التصرف العقلاني، وهي من أذكى الحشرات، كما أنها ترى بموجات ضوئية لا يراها الإنسان. ولغة النمل كيماوية لها وظيفتان: التواصل والإنذار. فلو سحقتَ نملةً فإن رائحة تصدر عنها، تستغيث بها النملات أو تحذرها من الاقتراب من المجزرة. ولا تستطيع نملة دخول وكرها إلا إذا بينت كلمة السر. وللنمل جهاز هضم مدهش فيه فم ومري ومعدة وأمعاء وجهاز مص وجهاز ضخ.

التصرف العقلاني

رصد العلماء طرق معيشة النمل، وأدهشهم عملهم الجاد الدؤوب في تحصيل أرزاقهم متعاونين مع بعضهم بعضاً، موزِّعين الوظائف والمهمّات بينهم بكل دقة وجدّية.

إن للنمل نظاماً دقيقاً في معاشه، فهو له قائد يوجهه ويأمره، وله مساكن يعيش فيها. هذه المساكن مقسمة إلى غرف معيشة ومستودعات لخزن المؤن، ولها دهاليز معقدة عليها حراسة مشددة على مدار الساعة. ويجتمع من تلك المساكن قرى كاملة، وقد تبني عدة قرى، كأنها مستعمرات تصل بينها طرق ومسالك، بحيث تهتدي بها إلى أعلى الأرض.

كذلك هناك نوع آخر من النمل يبني بيوته فوق الأرض، من أوراق الأشجار وأغصانها، ويكثر هذا تحت شجر الصنوبر، أو ينحت هذه البيوت في الأشجار العتيقة، كما يتخذ الإنسان من الجبال بيوتاً. ومع أن النمل لا يملك الآلات والعُدَد، فإنه يبني أبراجاً في غاية الدقة والإحكام، مستعيناً بمقصّ فمه الحاد، حيث يمضغ ما يقصه حتى يصبح كالعجين. ولعل ما بناه قدماء المصريين في مساكنهم وأهراماتهم كان تقليداً للنمل.

وللنملة رأس ووسط وذنب أسطواني، ولها ستُّ أرجل تقدر بها على الجري السريع، ولبعضها أجنحة للوثوب، ولها خمس أعين؛ عينان مركّبتان على جانبي الرأس مكوَّنتان من أعين بسيطة تعد بالمئات، وهي ملتئمة الوضع والتركيب والترتيب بحيث ترى وكأن لها عيناً واحدة. والعيون الثلاثة الباقية موضوعة على هيئة مثلث يعلو العينين المركبتين، وهي أعين بسيطة لا تركيب فيها، غير أن عيون الذكر أكبر من عيون الأنثى، ومتقاربة من بعضها بسبب قوة المهام المنوطة به. ولكل نملة قرنان طويلان كالشعرتين، بهما تحسُّ الأشياء، حيث يقومان مقام اليدين والرجلين والأصابع في الحمل، ويسميان "الحاسَّتين".

المربيات الراعيات

وتضع إناث النمل بيوضها في محال تقترب من مساكن الكبار، وتخصَّص لها مربيات يلاحظنهن ليلاً ونهاراً، مع تأمين الحرارة المناسبة لها حتى تتفتح البيوض وتخرج دوداً صغيرة لا جناح له ولا أرجل. تلاحظه المربيات وتطعمه، حيث يأكل بشراهة لعدة أسابيع، ثم يغزل بفمه وينسج على نفسه كرة من الحرير وينام. فإذا مضت أيام، نهض من رقدته وقطع خيوط الكرة، وقرض حريرها المحيط به. تساعده المربيات في ذلك وتقوم بتنظيفه، حيث تظهر أرجله وأجنحته. والنمل يحب النظافة حبّاً مفرطاً.

يعمل النمل في قراه بموجب انضباط مدهش وصارم للغاية، وبإشراف النمل الذي كبرت رؤوسه وعظمت خراطيمه.

والصبية الصغار تبقى في الديار تحفر الحجرات، وتشكل السراديب، وتنمو وهي فيها، بالإضافة إلى وجود المربيات. وكذلك النمل المسؤول عن الحراسة أو التنظيف أو حفظ المؤن وتوضيبها التي يحضرها النمل العامل. وهو يأبى كلَّ

الإباء أن يطلع أحد على أسراره، أو يتطفّل عليه لمعرفة نظامه العجيب في الحياة.

مواد كيميائية وبرمجة عجيبة

وقد وجد العلماء أن النمل حين يغادر قريته، يرسل في كل مسافة معيَّنة مادة كيميائية لها رائحة صغيرة، حتى يستطيع التعرُّف إلى طريق عودته. وأنه عندما قام أحدهم بإزالة آثار هذه المادة، لم يستطع النمل الاهتداء إلى طريق عودته. فإذا رأت النملة شيئاً مفيداً لا تقوى على حمله، نشرت حوله بعض الرائحة، وأخذت منه قدراً يسيراً وكرَّت راجعة إلى أخواتها، وكلما رأت واحدة منهن أعطتها شيئاً مما معها لتدلها على ذلك، حتى يجتمع على ذلك الشيء جماعات منها، يحملونه ويجرّونه بجهد وعناء متعاونين في نقله. علماً بأن للنمل قوى عضلية بالنسبة إلى حجمه، تزري بقوة أعظم المصارعين والرياضيين، بحيث تستطيع النملة الواحدة أن تحمل بين فكّيها حملاً أثقل من وزنها بثلاثة آلاف مرة من غير عناء.

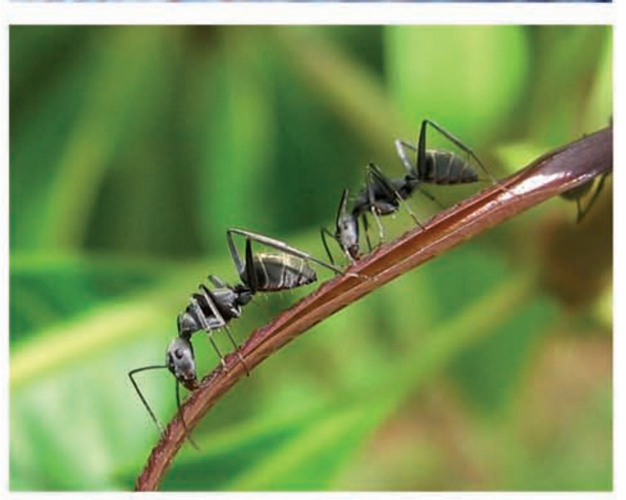
كما وجد العلماء أن النمل ينشر عند موته رائحة خاصة، تنبّه بقية الأفراد إلى الإسراع بدفنه قبل انجذاب الحشرات الغريبة إليه. وعندما قام أحد العلماء بوضع نقطة من هذه المادة على جسم نملة حية، سارع باقي النمل إليها ودفنوها وهي حية.

غريزة ادخار الغذاء

والنمل من الحيوانات والحشرات القليلة التي أودع الله فيها غريزة ادخار الغذاء. فهو يحتفظ بالحبوب في مسكنه الرطب الدافئ تحت الأرض دون أن يصيبها تلف. ويتفنن النمل بطرق الادخار بحسب أنواعه، فهو يقطع حبة القمح نصفين، ويقشر البقول لئلا تنبت من جديد، أو يتركها عدة أسابيع في تهوية وحرارة معينة، ويسمح لها بعدها بالإنبات، فتنمو ويظهر لها جذر وساق صغيران، حيث يقوم بقطعها وتجفيفها لتصبح مادة جاهزة يتغذى عليها طوال مدة الشتاء. وإنه يقوم بتسميد أوراق الأشجار المقطعة ببراز نوع معيَّن من الفراشات، وعندها ينمو عليها نوع من الفطريات -يسمى خبز الغراب- يقوم النمل بالتغذي عليه. كما أن بعض أنواع النمل يجلب بيوض المنِّ إلى عشه، وعندما يفقس يحمله إلى الخارج ويضعه على النباتات التي تفرز الندوة العسلية، ثم يعيده إلى عشه في الليل ويحلب منه هذه الندوة العسلية،





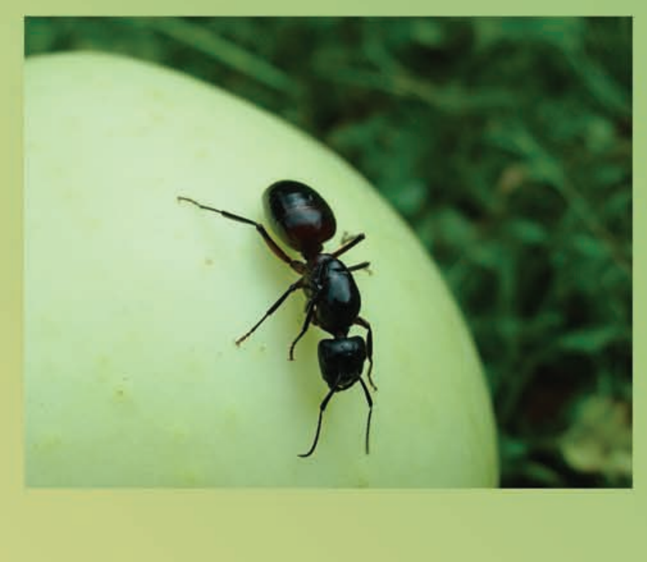


حيث تعطي كلُّ حشرة ما يقارب ثمانٍ وأربعين نقطة من هذه الندوة خلال أربع وعشرين ساعة، علماً بأنه يبني لهذه الحشرات حجرات خاصة لتسكن فيها.



كيف يعرف النمل بعضه؟

ويعرف النمل بعضه بغير علامة، والتوادد موجود بين أهل القرية الواحدة فقط، وما عدا ذلك فعداء مستحكم، حيث يمكن أن تنشب الحرب بين عدة قرى من النمل، فينتظم في صفوف قتالية وتحدث المعارك، ويقع القتلى والجرحى. ويتخذ النمل المنتصر الأسرى ليجعلهم خدماً في قراه، ويقوم بدفن موتاه في مقابر خاصة به، كما ينظف أرضه من جثث أعدائه. حتى قيل بأن النمل أقرب الحشرات إلى الإنسان في أفعاله. وقد يصبح النمل قوة مزعجة مهلكة، شديدة الخطر على الإنسان نفسه، حيث يمكن أن يقرض دعائم المساكن الخشبية حتى تتداعى عروشها، أو يكوّن مستعمرات في دور الكتب، حيث يقوم بإتلاف الورق أكلاً وتمزيقاً.



وروي أن عدي بن حاتم ﷺ خرج في نزهة إلى بستان، ثم عاد إلى بيته فوجد نملة قد علقت على ثيابه، فقال: لقد أَبعدْنا عليها المسير، ثم حملها وعاد بها إلى البستان الذي كان فيه.

يقول الإمام علي كرم الله وجهه: "انظروا إلى النملة في صغر جثتها ولطافة هيئتها، لا تكاد تنال بلحظ البصر ولا بمستدرك الفكر، كيف دبت على أرضها، وضنّت على رزقها، تنقل الحبة إلى جحرها، وتعدها في مستقرها، تجمع من حرها لبردها، وفي وردها لصدرها، مكفولة برزقها، مرزوقة بوسقها، لا يغفلها المنان، ولا يحرمها الديان، ولو في الصفا الوابت، والحجر الجامد، ولو فكرت في مجاري أكلها في علوها وسفلها، وما الجوف من شراسيف بطنها، وما في الرأس من عينها وأذنها، لقضيت من خلقها عجباً، ولقيت من وصفها عجباً، فتعالى الله الذي أقامها على قوائمها وبناها على دعائمها، لم يشركه في فطرتها فاطر، ولم يعنه على خلقها قادر".

قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾(الأنعام:٣٨). ■



(*) أستاذ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كليات الشريعة وأصول الدين في جامعة الأزهر فرع الفتح الإسلامي في دمشق / سوريا.



ابن الشاطر

أ.د. بركات محمد مراد *

عالم الفلك وصانع أدوات الرصد والقياس

ابن الشاطر، علَمٌ من أعلام مدرسة دمشق لعلم الفلك، وواحد من كبار علماء الفلك المسلمين المجددين الذين قادوا البشرية إلى تصورات جديدة للكون، وهيأوا السبيل لحضارة عصر الفضاء والإنجازات التكنولوجية الفلكية.

وهو "علاء الدين علي بن إبراهيم بن محمد بن حسان الأنصاري المؤقت الفلكي الدمشقي"، اشتهر بـ"ابن الشاطر"، ويعرف أيضاً بـ"بالمطعّم الفلكي" نظراً لاشتغاله في صباه بحرفة تطعيم الخشب بالعاج. ولعل هذه الحرفة أكسبته المهارة اليدوية في صنع الآلات الفلكية.

عاش ابن الشاطر بين سنتي ١٣٠٤-١٣٧٥م، وهو من مواليد دمشق وفيها توفي. قضى معظم حياته في وظيفة التوقيت ورئاسة المؤذنين في المسجد الأموي بدمشق. وقد نال شهرة عظيمة بين علماء عصره في المشرق والمغرب كعالم فلكي.

توفي والده وهو في السادسة من عمره، فكفله جده ثم ابن عم أبيه وزوج خالته الذي علّمه فن تطعيم العاج، فكان يكنى بـ"المطعّم". وقد أكسبته هذه المهنة ثروة كبيرة، لأن صناعة تطعيم العاج تحتاج إلى ذوق رفيع ومهارة ودقة في العمل. وقد مكنته ثروته العظيمة، من زيارة كثير من بلاد العالم، ومنها مصر التي قضى فيها ردحاً من الزمن. درس ابن الشاطر في القاهرة والإسكندرية علمَي الفلك والرياضيات. وقد برع في علمَي الهندسة والحساب، ولكنه لم يلبث أن اتجه إلى علم



الفلك فأبدع فيه. وهذا يظهر من ابتكاراته للأجهزة والأدوات الفلكية من الإسطرلاب، وتصحيحه للمزاول الشمسية، وشرحه لكثير من نظريات بطليموس وانتقاده لها وتعليقه عليها.

تحديده مدارَي "عطارد" و"القمر"

استفاد ابن الشاطر من إنجازات مدرسة "مراغة" لعلم الفلك التي قادها الفلكي الكبير "نصير الدين الطوسي"، وتمكّن من تحديد مدارَي "عطارد" و"القمر" اللذين حيّرا علماء الفلك طويلاً.

والنموذجان اللذان وصفهما لحركتهما، يعدان أول ابتكار غير بطلمي يتحقق على الطريق المؤدي إلى العلم الحديث. ويعترف -الآن- الكثير من علماء الغرب لابن الشاطر، بأن الفلكي البولندي الشهير "كوبرنيكس" (Copernicus)، أخذ عنه هذين النموذجين -نموذج عطارد ونموذج القمر- وأدخلهما في نظامه الفلكي الذي وضعه بعد ابن الشاطر بقرن ونصف من الزمان، وهو النظام الذي يشتهر باسمه "النظام الكوبرنيكي" (Copernican System).

وهذا الاكتشاف ليس بعيداً عن جهود علماء المسلمين البارعين، الذين اعتمدوا في اكتشافاتهم على الرصد الدقيق والتحقيق البارع، بفضل المراصد التي أسسوها في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وعلى رأسها مرصد مراغة الذي بناه نصير الدين الطوسي (٦٥٧هـ). وقد اشتهر هذا المرصد بعظمته وكثرة أجهزته وآلاته، وتفوّقِ المشتغلين فيه، ودقةِ أرصاده التي اعتمد عليها علماء أوربا في عصر النهضة وما بعده في بحوثهم الفلكية.

ومن الجدير بالذكر أن هذا المرصد لا تزال بقاياه قائمة حتى الآن. وكانت هناك -عدا هذا المرصد- مراصد أخرى في مختلف الأنحاء؛ كمرصد ابن الشاطر، ومرصد البتاني في بلاد الشام، ومرصد الدينوري بأصبهان، ومرصد البيروني، ومرصد أولغ بك بسمرقند، ومراصد أخرى عامة وخاصة في مصر وفاس والأندلس وغيرها.

نماذجه الفلكية في الزيج الجديد

وقد طلب الخليفة العثماني "مراد الأول" الذي حكم الشام في الفترة بين سنتي ٧٦١-٧٩١هـ أن يصنف له زيجاً يحتوي على نظريات فلكية ومعلومات جديدة، فألف ابن الشاطر له "الزيج الجديد" الذي قال في مقدمته: "إن كلاً من ابن الهيثم ونصير الدين الطوسي وغيرهما من علماء العرب والمسلمين، قد أبدو شكوكهم في نظريات بطليموس الفلكية، ولكنهم لم يقدموا تعديلاً لها..". ولكنه قدم نماذج فلكية في الزيج الجديد، قائمة على التجارب والمشاهد والاستنتاج الصحيح. على أن كوبرنيك لم يتورع عن ادعاء هذه النماذج لنفسه، وسايره مَن جاء بعده في أوربا في هذا الادعاء حتى القرن العشرين.

وذكر المستشرق الإنجليزي الذي اهتم بإنتاج علماء العرب والمسلمين في الفلك، الدكتور "ديفيد كنج" في مقالة نشرت في "قاموس الشخصيات العلمية"، أنه ثبت في عام ١٩٥٠م، أن كثيراً من النظريات الفلكية المنسوبة لـ"كوبرنيك"، قد أخذها هذا الأخير من العالم المسلم ابن الشاطر. وفي عام ١٩٧٣م عثر على مخطوطة عربية في بولندا مسقط رأس كوبرنيك، اتضح فيها أنه كان ينقل تلك المخطوطات العربية وينتحلها لنفسه. وقد صنف ابن الشاطر أزياجاً كثيرة، وقام بأعمال جليلة تدل على عبقريته

الفـذة وذكائـه الحـاد ومهارتـه وطول باعـه في علـم الفلك.

ابتكاراته من أدوات الفلك والقياس

ابتكر ابن الشـاطر الكثير من الأدوات المسـتخدمة في الرصد الفلكـي، والأدوات المسـتخدمة في القياس الحسـابي، ومنها السـاعتان الشمسـية والنحاسـية، والربع العلائـي والربع التام المسـتخدمان في حل مسـائل علم الفلك، بكيفية يسهل معها الحصول على النتائج، والإسطرلاب الذي ابتكره.

لقـد ابتكر ابن الشـاطر كثيراً مـن الآلات التي وصفها أتم وصـف في مؤلفاتـه الفلكية، إضافة إلـى نظرياته الفلكية ذات القيمـة العلمية الرفيعة. وقد اعترف للمسـلمين بإتقان صناعة هذه الآلات الفلكية؛ فقد صنعوا من الإسطرلاب نماذج بديعة ومتقنة، حتى لقد أصبح بفضلهم أداة عملية وتحفة فنية في آن واحد. فالإسـطرلاب: أداة فذة للمراقبة، قابلة للحمل، تحاكي في تصميمها ما يبدو من مسار النجوم حول القطب السماوي، كمـا يمكـن بواسـطتها تقدير أبعـاد النجوم والشـمس والقمر وسـائر الكواكب السيارة، ويمكنها أيضاً أن تبين الوقت، وأن تقيس مدى ارتفاع جبل مـن الجبال أو مدى انخفاض الآبار، وهي -فضلاً عن ذلك- ذات قيمة عظيمة حتى للملاحين.

وقد استُعملت هذه الإسـطرلابات في البلدان الإسـلامية منذ القرن التاسـع الميلادي، إلـى أن حلت محلها مخترعات حديثة. ويوجد من الإسـطرلاب الإسـلامي نماذج جميلة في مختلـف متاحـف أوربـا، ويعتبـر صنـدوق اليواقيت آلة فلكيـة مـن صنع ابـن الشـاطر، وتحتفظ به مكتبـة الأوقـاف بحلـب، وأهـم أجزائها، إبرة مغناطيس لامتدادها فـي الجهـات الأربـع، ثـم رسـوم لمعرفـة القبلة في بعـض البلدان، ثم سـاعة شمسـية كليـة تُمـال إلـى الأفق بقـدر عـرض البلد، ثـم دائرة اسـتوائية كليـة يقاس بهـا الوقت ليلاً ونهاراً، ثم أقواس لعروض مختلفة لقياس المطالع الفلكية.

وقـد قـارن "جانـان" (Louis Janin) و"دافيـد كنـغ" (David King) فـي مجلة "تاريـخ العلـوم العربيـة" هـذه الآلـة، بالإسـطرلاب الـذي صنعـه العالـم الفلكـي السوري "ابن السراج" قبل عصر ابن الشاطر، والذي كان أيضاً آلـة كلية مـن نواح عدة، وبحـث في أثر هذه الآلـة في ابتداع آلـة كلية أخرى سـميت بـ"دائـرة المعدل" لمخترعهـا الفلكي المصري عز الدين الوفائي من بعده.

جداوله للمواقيت الفلكية

وقد بقيت رسـائل ابن الشـاطر المتخصصة في الأجهزة؛ مثل الإسـطرلاب والمزاول الشمسـية، تتداول لعـدة قرون في كل مـن الشـام ومصـر والدولة العثمانيـة وبقية البلاد الإسـلامية، كمـا كانت مرجعاً لضبط الوقت في العالم الإسـلامي. وعلى سـبيل المثال، صنع آلة لضبط وقت الصلاة سماها "البسيط"، ووضعها في إحدى مآذن المسجد الأموي بدمشق.

ويقـول "دونالـد هيـل" فـي كتابـه "العلـوم الهندسـية في الحضـارة الإسـلامية": "وإبان القـرن الرابع عشـر الميلادي، أنجز في سوريا أهم عمل في علم المواقيت الفلكية، فقد عاد "الميزي" بعد دراسـته في مصر إلى سـوريا، ووضع مجموعة جداول للزاوية السـاعية، وجداول لمواقيت الصلاة في مدينة دمشـق على غـرار جداول مدينة القاهرة، ووضع ابن الشـاطر جداول لمواقيت الصلاة في مكان غير محدد عند خط عرض ٣٤ درجـة، علـى الرغم من أن أهـم إنجازاته كانت في مجال علم الفلك النظري. وعلى طريق الميزي، وابن الشاطر، أحرز شـمس الدين الخليلي أهم الإسـهامات في "علـم الميقات"،

فأعاد حساب جداول الميزي للمعاملين الجديدين: "الارتفاع المحلي، وميل فلك البروج" اللذين استنتجهما ابن الشاطر. وظلت جداوله للمواقيت، بالنسبة إلى الشمس وإلى تحديد أوقات الصلاة في دمشق، مستخدمة هناك حتى القرن التاسع عشر الميلادي".

رؤية فلكية مختلفة

وجّه ابن الشاطر اهتمامه الشديد إلى قياس زاوية انحراف دائرة البروج، فانتهى إلى نتيجة مفرطة الدقة وهي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة. وصدق المؤلف المعروف "جورج سارتون" إذ يقول في كتابه "المدخل إلى تاريخ العلم": "إن ابن الشاطر عالمُ فلكٍ فائق الذكاء، فقد درس حركة الأجرام السماوية بكل دقة، وأثبت أن زاوية انحراف دائرة البروج تساوي ٢٣ درجة و٣١ دقيقة في عام ١٣٦٥ م، علماً بأن القيمة المضبوطة التي توصل إليها علماء القرن العشرين بواسطة الآلات الحاسبة هي: ٢٣ درجة و٣١ دقيقة و٨ و١٩ ثانية".

وقد كانت نظرية بطليموس ترى خطأ أن الأرض هي مركز الكون، وأن الأجرام السماوية تدور حول الأرض دورة كل ٢٤ ساعة. ووضع بطليموس لهذه النظرية حساباً فلكياً لا تحتمل جداولاً، ولكن الأرصاد الفلكية التي قام بها العالم المسلم ابن الشاطر، برهنت على عدم صحة نظرية بطليموس، ويعلل ابن الشاطر ذلك بقوله: "إن الأجرام السماوية لا يسري عليها هذا النظام الذي وضعه بطليموس، فعلى سبيل المثال ذكر أنه إذا كانت الأجرام السماوية تسير من الشرق إلى الغرب، فالشمس إحدى هذه الكواكب تسير، ولكن لماذا يتغير طلوعها وغروبها؟ وأشد من ذلك، إن هناك كواكب تختفي وتظهر سمّوها الكواكب المتحيزة، لذا الأرض والكواكب المتحيزة تدور حول الشمس بانتظام، والقمر يدور حول الأرض".

وهذا -بنصه- هو الاكتشاف الذي نسب إلى كوبرنيك بعد ابن الشاطر بعدة قرون، ثم جاء غاليليو الذي تشبع بفكرة ابن الشاطر، فابتكر أول تلسكوب، وأخذ يراقب حركة النجوم باستخدام هذا الجهاز، وأقام أكثر من دليل علمي على أن نظرية ابن الشاطر صائبة.

آثاره ومؤلفاته

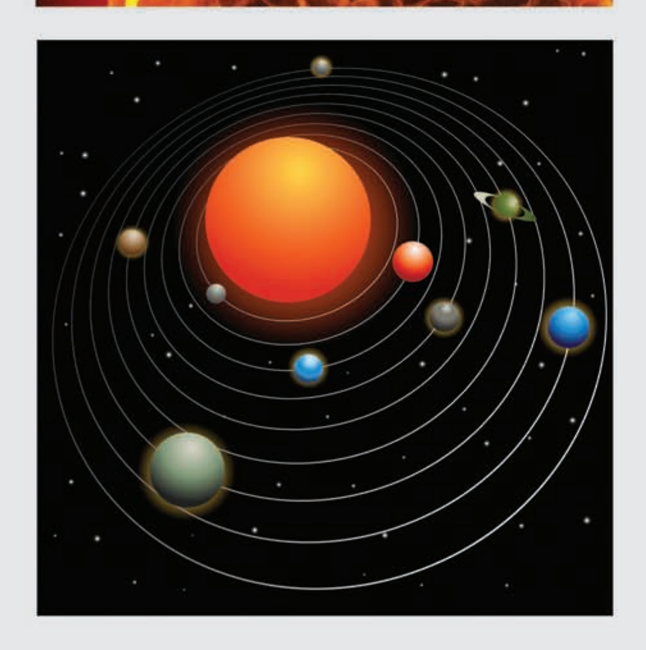
اهتم ابن الشاطر بالتأليف مع عمله كمؤذن في الجامع الأموي بدمشق، فألف أكثر من ثلاثين مؤلفاً ما زال عدد منها مفقوداً، ومن مؤلفاته: زيج نهايات الغايات في الأعمال الفلكيات، رسالة في تعليق الأرصاد، رسالة في نهاية السؤال في تصحيح الأصول، الزيج الجديد، كتاب الأشعة اللامعة في العمل بالآلة الجامعة، رسالة عن إيضاح المصيب في العمل بالربع المجيب، كتاب المختصر في الثمار البالغة في قطوف الآلة الجامعة، أرجوزة في الكواكب، رسالة عن صنع الإسطرلاب، كتاب المختصر في عمل الإسطرلاب، مقالة عن النفع العام في العمل بالربع التام، رسالة نزهة السامع في العمل بالربع الجامع، رسالة كفاية القنوع في العمل بالربع الجامع، رسالة العمل بالربع الهلالي، رسالة في الربع العلائي، رسالة في أصول علم الإسطرلاب.

يقول الدكتور علي عبد الله الدفاع في كتابه "العلوم البحتة في الحضارة العربية والإسلامية": "إن ابن الشاطر ركز كل جهوده على علم الفلك، فترجم كثيراً من إنتاج علماء اليونان وغيرهم، ودرس بعناية ما ورثه عن علماء العرب والمسلمين في هذا المجال، فأبدع وأحسن النقل وصحح الأخطاء، وابتكر كثيراً من النظريات الفلكية التي صححت ما كان مشهوراً على خطئه قبلها... ولم يخف ابن الشاطر أهمية علم الفلك الذي يعد من العلوم الضرورية في البحرية والأرصاد الجوية. وجدير بالذكر أن أعمال ابن الشاطر العلمية والفنية، تنحصر في أمرين رئيسيين هما: تطوير الآلات الفلكية، ونظرية حركة الكواكب".

ومن هنا فليس غريباً أن نجد المؤرخ العلمي "أ. س. كندي" يؤكد على أن ابن الشاطر: "عمل أكثر من تنقية نظام بطليموس؛ إذ برهن على خطئه، وفسر النظام الحقيقي للجهاز الشمسي. ولم تعرف حقيقة ابن الشاطر إلا في وسط القرن العشرين، لأن نظرياته الفلكية القيمة سيطر عليها كوبرنيك وادعاها لنفسه، وأيّده في ذلك علماء الغرب في الفلك مدة تضاهي خمسة قرون، أما اليوم فإن المنصفين من المتخصصين في علم الفلك في العالم أجمع، يسهرون ليل نهار على دراسة أعمال ابن الشاطر، محاولين بكل إخلاص رد الحق إلى أهله، ونتوقع أن يحمل لنا المستقبل مفاجآت مذهلة عن أعمال ابن الشاطر وإنتاجه العلمي". ■

(*) رئيس قسم الفلسفة والاجتماع، كلية التربية، جامعة عين شمس / مصر.

الشمس نعمة وجود



د. زياد موسى عبد المعطي أحمد *

الشمس آية من آيات الله الكونية الواضحة الجلية، أقسم الله ﷻ بها في القرآن في مستهل سورة سميت باسمها. ففي بداية سورة الشمس أقسم الله تعالى بقوله: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾(الشمس:١)، لكي نفكر في هذه المنحة الربانية، ونستفيد بها الاستفادة القصوى في حياتنا.

وإذا ما تأمل الإنسان في الشمس كآية كونية تدل على عظمة الله ﷻ، فسيجد أن الشمس ثروة للبشرية منذ بدء الخلق حتى أوقاتنا الحالية، وأن الشمس لها أفضال كثيرة على الجنس البشري. فالشمس نعمة من الله للمخلوقات، وهذه السطور محاولة للتفكر في نعمة الشمس وفضلها على حياة البشرية.

الشمس هي النجم الذي تدور حوله الأرض، والأرض أحد كواكب المجموعة الشمسية. وقد تدور الأرض حول الشمس دورة يومية حول محورها فينتج عنها الليل والنهار، كما تدور الأرض في مدارها حول الشمس دورة كاملة كل ٣٦٥ يوم وربع اليوم، أي في عام كامل. فتعاقبُ الليل والنهار،

والأيام والسنين، له الفضل في تعليم الحساب والأرقام للبشر: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللهُ ذَلِكَ إِلاَّ بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾(يونس:٥).

أشعة الشمس تصل للأرض في أكثر من ثماني دقائق، حيث إن سرعة أشعة الشمس ٣٠٠ كم في الثانية الواحدة، ولنا أن نتخيل المسافة بين الشمس والأرض التي تصل إلى مليارات الكيلومترات.

أشعة الشمس هي مصدر الضوء الأساسي في الأرض، ومن حكمة الله ﷻ، دوران الأرض حول محورها وتعاقب الليل والنهار؛ إذ جعل الله ﷻ النهار لمعيشة الناس ونشاطهم، وجعل الليل وقتاً للراحة والسكن والنوم: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۞ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۞ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾(النبأ:٩-١١).

ولو شاء الله لذهب بضوء الشمس وجعل الحياة مظلمة، أو جعل ضوء الشمس موجوداً طوال الوقت: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِضِيَاءٍ أَفَلاَ تَسْمَعُونَ ۞ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللهِ يَأْتِيكُمْ بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ﴾(القصص:٧١-٧٢). وحتى نور القمر مصدره ضوء الشمس، فنور القمر يحدث نتيجة لانعكاس ضوء الشمس على سطح القمر.

الأرض تمتص أشعة الشمس

الشمس مصدر الطاقة والدفء على الأرض، فلو ابتعدت الأرض قليلاً عن الشمس لتجمدت الأرض وما عليها، ولو اقتربت الأرض قليلاً من الشمس لاحترقت الأرض وما عليها.

أشعة الشمس لا تسبب الدفء وارتفاع حرارة الأرض من تلقاء نفسها، بل الأرض تمتص هذه الأشعة، ثم تبثها في الغلاف الجوي، ولذلك فإن المكان المرتفع عن سطح البحر تنخفض فيه درجات الحرارة عن الأماكن الأقل ارتفاعاً، فنجد الجبال الشديدة الارتفاع يغطيها الجليد، وقد تكون الأماكن المجاورة لها غير المرتفعة معتدلة الحرارة.

ضوء الشمس أساسي لعمليات البناء الضوئي للنباتات والطحالب وبعض الميكروبات ذاتية التغذية، فتقوم هذه الكائنات بتكوين غذائها ذاتياً باستخدام الماء والأملاح المعدنية وثاني أكسيد الكربون لتكوين غذائها. ووجودُ الشمس ضروري لإتمام التفاعلات في عملية البناء الضوئي، فهذه العملية تتوقف في الظلام.

ومن ثم تلعب الشمس دوراً رئيسياً في تغذية الحيوانات والإنسان، حيث لولا وجود النباتات ذاتية التغذية، ما كان هناك غذاء للحيوان والإنسان.

تعقيم الهواء من الميكروبات

ومن ثم فالشمس أساس تكوّن الوقود الحفري (البترول والغاز الطبيعي والفحم)، حيث إن هذا الوقود تكوّن عبر ملايين السنين نتيجة تحلل أجسام النباتات والحيوانات الميتة تحت سطح الأرض.

يستفيد البشر من الطاقة الشمسية في تعقيم الهواء من الميكروبات؛ فالأماكن المغلقة التي لا تدخلها الشمس، تكون معرضة لتكاثر الميكروبات الضارة. ومن ذلك ما كان يعرف سابقاً بـ"لعنة الفراعنة"، فمن يفتح قبور قدماء المصريين، يصاب بالأمراض ويموت نتيجة استنشاق الهواء الفاسد، وذلك بسبب تكاثر ميكروبات ضارة وإفرازها سموماً في هواء المقابر الفرعونية المغلقة منذ آلاف السنين.

وتفادى العلماء ذلك بفتح المقابر وعدم دخولها مباشرةً إلا بعد فترة يتم فيها تلقائياً تغيير هواء المقابر ودخول أشعة الشمس لها، التي تعقم المكان وتقتل الميكروبات الضارة، ولذلك فمن الضروري فتح نوافذ الغرف والشقق حتى تدخل أشعة الشمس وتطهر البيوت من الكثير من الميكروبات الضارة، ولذلك فهناك حكمة قديمة تقول: "البيت الذي تدخله الشمس لا يدخله الطبيب" كنايةً عن عدم وجود أمراض.

وكذلك بالنسبة للملابس بعد الغسيل، يتم نشرها في الشمس فتكون هناك فائدتان، الأولى تجفيف الملابس، والثانية تعقيم وتطهير الملابس من الميكروبات الضارة، ولذلك تجد الملابس التي تجف في مكان مظلم بعيداً عن ضوء الشمس، ذات رائحة عفنة نتيجة تكاثر ميكروبات تفرز مواد ذات رائحة عفنة.

وكذلك أشعة الشمس، تعقم وتقتل الميكروبات الضارة في الأراضي الزراعية، فأحد فوائد تقليب وحرث وعزق الحقول الزراعية، هو تعقيم التربة بواسطة أشعة الشمس، وقتل العديد من الميكروبات الضارة بالنبات. وتعقيم التربة الزراعية بأشعة الشمس هو ما يعرف بـ"التشميس" (Solaraization).



مصدر المياه العذبة في الأرض

والشمس هي أساس وجود المياه العذبة في الأرض، سواء أكانت هذه المياه هي مياه الأنهار أو المياه الجوفية. فكما هو معروف، إن أشعة الشمس تتسبب في تسخين المياه الموجودة في البحار والمحيطات، ولذلك تبدأ عمليات التبخير التي تحدث لهذه المياه -والتبخير يبدأ من درجة واحد مئوية حتى ما قبل درجة الغليان- فيتصاعد بخار الماء إلى طبقات الجو العليا، ويتم تكثيف بخار الماء مكوناً السحُب، وهذه السحُب تصطدم ببعضها البعض فينتج عن ذلك سقوط الأمطار التي تختلف في سقوطها من منطقة لأخرى، وهذه الأمطار هي أساس تكوّن المياه العذبة في الأرض، وهي مصدر مياه الأنهار والمياه الجوفية. وحديثاً تستخدم الطاقة الشمسية لتحلية مياه البحار في بعض الدول لإنتاج مياه عذبة، لمواجهة نقص المياه الصالحة للشرب.

هذا وقد يَستغل الطاقةَ الشمسية بعضُ سكان المناطق الحارة في إعداد الطعام؛ ومن ذلك ما يعرف "الخبز الشمسي"، حيث يتم إعداد الخبز وتركه في الشمس لينضج بدلاً من استخدام الأفران.

علاجٌ لأمراض العظام

الشمس علاج لأمراض العظام ومصدر لفيتامين "د". فالتعرض لأشعة الشمس هو علاج لمرضى الكساح وتقوس الساقين، ولذلك ينصح الأطباء أمهات الأطفال اللواتي يعانين من تقوس الساقين، بتعريض أبنائهم لأشعة الشمس وقت الشروق أو الغروب. وكذلك ينصح الأطباء كبار السن الذين يعانون من هشاشة العظام، بالتعرض لضوء الشمس وقت الشروق أو وقت الغروب. وأيضاً يلاحظ أن الذين يمارسون الأعمال

اليدوية ويتعرضون للشمس أوقاتاً طويلة، تكون عظامهم أقوى بكثير ممن يجلسون في المكاتب أوقاتاً طويلة.

والتعرض لأشعة الشمس قد يضر بالبشرة ويسبب أمراضاً للجلد، وقد يحدث ضربة شمس للأشخاص غير المتعوّدين على التعرض لأشعة الشمس. ومن حكمة الله ﷻ أن جعل سكان المناطق الاستوائية الحارة، ذوي بشرة سمراء، حيث يحتوي جلدهم على كمية كبيرة من صبغة الميلانين التي تقيهم شر التعرض لأشعة الشمس، الأمر الذي يجعلهم أكثر تكيفاً مع أشعة الشمس من غيرهم. ولذلك فنرى أن الشخص الذي لا يوجد في جلده صبغ الميلانين لا يستطيع تحمل أشعة الشمس، إذ يطلق عليه "عدو الشمس" أو "الأمهق".

مصدر الطاقة المتجددة في التنمية

والطاقة الشمسية أحد مصادر الطاقة المتجددة التي سوف يعتمد عليها مستقبل البشر في السنوات القادمة. وهذا الاعتماد يعود إلى اقتراب نفاد الوقود الحفري (البترول والغاز الطبيعي والفحم)، وإلى التغيرات المناخية التي تحدث بسبب انبعاث الغازات الناجمة عن احتراق الوقود الحفري، وهذه التغيرات المناخية تدفع البشرية لاستخدام وسائل للطاقة أكثر أمناً، والتي لا ينتج عنها أدخنة وغازات ضارة.

فالطاقة الشمسية بدأ -بالفعل- العديد من الدول في الاعتماد عليها، وإنشاء بعض محطات لاستغلال الطاقة الشمسية لتوليد الكهرباء، بل إن الدول الأوربية بدأت في الإعداد لتوليد الطاقة الكهربية في الصحاري الإفريقية وتصديرها إلى أوربا، لأن الشمس تشع بكثافة أكبر ولمدة أطول في منطقة شمال أفريقيا والشرق الأوسط بالمقارنة إلى أوروبا، بالإضافة إلى وجود مساحات كبيرة غير مستغلة في هذه المنطقة، مع العلم أن استغلال نسبة صغيرة منها قد يكفي لتغطية حاجة أوروبا من الطاقة.

ومن فضل الله ﷻ على الدول الإسلامية أن أشعة الشمس ساطعة في أغلبها، ويمكن للدول الإسلامية الاستفادة من هذه الطاقة المتجددة في التنمية، وأن تصبح الدول الإسلامية مصدراً للطاقة الشمسية في العالم كما هو كائن الآن، حيث إن الدول الإسلامية هي المصدر الرئيسي في الوقود الحفري في العالم.

وللطاقة الشمسية آفاق مستقبلية واسعة ورحبة في السنوات القادمة كأحد مصادر الطاقة المتجددة، ويبدو أنه في المستقبل القريب، سوف يكون هناك سيارات تسير بالطاقة الشمسية؛ يكون لها خلايا شمسية أعلى السيارة، تستقبل أشعة الشمس وتحولها إلى طاقة كهربية يتم استخدامها في تسيير السيارات وتخزين الطاقة، ليُتمكّن من استخدام السيارة في الليل أيضاً.

أخت يوشع

سميت الشمس أيضاً بـ"أخت يوشع"، نسبةً للنبي يوشع بن نون عليه السلام. ويروى أن النبي يوشع بن نون عليه السلام دعا الله ﷻ أن يؤخر غروب الشمس، لكي ينتصر جيشه على جيش أعدائه، فنبي الله يوشع بن نون، وهو الذي خرج ببني إسرائيل من التيه ودخل بهم بيت المقدس بعد حصار وقتال شديد، وعندما صار النصر قاب قوسين أو أدنى، كان وقت العصر قد أزف، واليوم كان يوم الجمعة واليوم التالي هو يوم السبت -وهو يوم السبوت وعدم العمل لدى اليهود- وإن دخل عليهم المغيب، لَدخل بغياب الشمس يوم السبت فلا يتمكنون معه من القتال، فنظر إلى الشمس ثم دعا ربه بأن لا تغيب الشمس حتى يتم استثمار الهجوم والنصر، وبقدرة الله ﷻ كان له ذلك.

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي:

قفي يا أخت يوشع خبرينا   أحاديث القرون الغابرينا

الشمس مخلوق من خلق الله ﷻ، ومن أفضالها العديدة على البشرية، عبدَها الناس في العصور المختلفة، وظنوا أنها إلهٌ يعبد في الأرض، وذكر الله ﷻ لنا أن سيدنا إبراهيم عليه السلام، في مرحلة بحثه عن الحق والحقيقة، والاهتداء إلى أن الله ﷻ هو الإله الواحد الأحد، وقبل أن يوحى إليه ويصبح نبياً، كفر بالأصنام، وتفكر في الخلق؛ ولما رأى الشمس بازغة مشرقة، ظن أنها الإله الخالق، ولكن لما رأى الشمس تغرب تبرأ مما يعبده الناس من غير الله ﷻ، وأعلن أنه يعبد الله وحده مخلصاً له الدين: ﴿فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَـذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ۞ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(الأنعام:٧٨-٧٩).

فسبحانك اللهم خالق الشمس وخالق الكون وخالق الخلق، مالك الملك، ذو الجلال والإكرام... نحمدك على نعمة وجود الشمس وأنت القائل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النحل:١٨).. ■

(*) معهد بحوث أمراض النباتات / مصر.



نورانية شجرة الزيتونة المباركة

أ.د. عبد المجيد بلعابد *

القرآن الكريم دستور المسلمين، وحضارة كاملة وشاملة لكافة الناس، وهداية ليعيش الإنسان مطمئناً مكرماً. وفي القرآن الكريم يتجلى علم الله ﷻ بحجته على كافة البشر بأن محمداً عبده ورسوله. ومن البيان ما فيه الكفاية على صدق الوحي المنزل على رسول الله ﷺ بما فيه من علم إلهي، يمكن للمسلم وغير المسلم إدراكه في كل زمان ومكان، ويواكب كل عصر بما فيه من تقدم تكنولوجي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(فصلت:٥٣)، وقوله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا﴾(النمل:٩٣).

هذه الآيات القرآنية هي في حد ذاتها معجزة مستمرة للقرآن الكريم إلى يوم القيامة، وهذه الرؤيا التي يريها الله ﷻ عباده مفتوحة في الزمان والمكان إلى يوم الدين. فالقرآن الكريم خارق للعادة في الأسلوب والبلاغة، مما يدل على صحة الدعوة. والمعجزة العلمية متجددة عبر العصور.

في عصرنا أظهرت البشرية قبولها النتائجَ العلمية، طريقاً متميزاً إلى معرفة الحق، وهذا تأتى للإنسان بعد الاكتشافات العلمية المذهلة مع التحكم في الأجهزة الدقيقة. وأساليب الدعوة كثيرة ومتنوعة، ومن بينها لغة الخطاب الموجه إلى الإنسان الذي يؤمن اليوم بالحجة والدقة العلمية؛ فكان لزاماً على المسلمين مخاطبة الناس بلغة العلم. فلغة العلماء هي الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، لكي نبين للناس فضل الله ﷻ الآيات حتى يتبين لهم أنه الحق. فالمسلم يزداد إيماناً مع إيمانه، وغير المسلم تكون حجة عليه.

إذا كان صحابة رسول الله ﷺ قد شاهدوا بأعينهم كثيراً من المعجزات، فإن الله ﷻ أرى أهل هذا العصر معجزة لرسوله تتناسب مع عصرهم، ويتبين لهم بها أن القرآن حق: ﴿إِنْ هُوَ

إلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ۝ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾(ص:٨٧-٨٨).

أحد البحوث التجريبية العلمية التي قمنا بها في المغرب وفي قرطبة بأسبانيا، تتمحور حول تكنولوجيا شجرة الزيتون ومشتقاته.

شجرة الزيتون شجرة مباركة تنتمي إلى عائلة الزيتيات، معروفة منذ القدم لشهرة زيتونها وزيتها، وتعيش ما بين ٢٥° و٤٥° من خطوط العرض ومع ارتفاع يقل عن ٨٠٠ م -مع العلم أننا وجدنا أشجار زيتون على ارتفاع ١١٠٠م- عن سطح الأرض. تتميز هذه الشجرة بمتوسط عمر كبير جداً، وتتأقلم مع جميع أنواع التربة، مما يجعلها في مقدمة المقاومين للظروف المناخية المتقلبة.

هذه الشجرة هي من أصل بلدان البحر الأبيض المتوسط، وصلت إلى إسبانيا عن طريق الفينيقيين والإغريق. وإذا كان الرومان أول من نشر زراعة هذه الشجرة في كل شبه الجزيرة الإيبرية، فإن المسلمين هم الذين طوروا تقنية استخراج الزيت. وقبل ميلاد المسيح كانت هذه الشجرة موجودة في الشرق الأوسط وشبه الجزيرة العربية. وفي المغرب الشرقي يشكل الزيتون ومشتقاته أحد الركائز الاقتصادية المهمة للساكنة.

إن أزيد من ٨٠٠ مليون شجرة من الزيتون في العالم تحتل ١٠ ملايين هكتار تقريباً. والكثافة الزراعية لشجرة الزيتون، موجودة في حوض البحر الأبيض المتوسط بنسبة ٩٨٪ من المساحات المزروعة لهذا الغرض، مما يبين أهمية هذه الشجرة في هذه البقعة من العالم.

شجرة الزيتون قصيرة عادة، ولا تتجاوز ١٥ م، ذات جذع سميك -ويزداد سمكاً بزيادة عمر الشجرة- مليء بالعروق والتعرجات. شجرة الزيتون دائمة الخضرة وأوراقها قصيرة وحادة.

هناك أنواع كثيرة من ثمار الزيتون، فمنها ما هو أخضر وأسود وبنفسجي داكن (قريب للأسود) وغيرها من الأنواع الهجينة. شجرة الزيتون معمرة، ومعدل نموها بطيء. يتراوح معدل العمر عند شجرة الزيتون من ٢٠٠٠ إلى ٣٠٠٠ سنة. الشجرة مباركة حيث إننا نستفيد من زيتونها وزيتها وخشبها وورقها. وزيت الزيتون من أفخم الزيوت، وهو مفيد جداً.

فوائد زيت الزيتون المبارك		
الآليات	الأعراض	المرض
تصلب شرايين القلب التاجية.	التقليل من معدل الكوليستيرول في الدم.	منع أكسدة الكوليستيرول الذي يلعب دوراً في تصلب الشرايين بواسطة الفيتامين "E" ضد الأكسدة، العصرة الأولى تحتوي على البوليفينول المضاد للأكسدة.
تجلط الدم	انخفاض ضغط الدم بمعدل ٧ ملم زئبقي، مما يؤدي إلى تقليل تناول أدوية ضغط الدم إلى النصف عند المرضى بضغط الدم.	زيت الزيتون المبكر من المعصرة الأولى "Extra vièrge"
سرطان القولون	انخفاض معدل الوفيات من بلدان البحر الأبيض المتوسط.	زيت الزيتون مصدر أساسي للدهون والخضروات والفواكه.
سرطان الثدي	انخفاض احتمال حدوث سرطان الثدي بنسبة تصل إلى ٤٥٪	تناول ملعقة من زيت الزيتون يومياً.
سرطان الرحم	انخفاض احتمال حدوث هذا النوع من السرطان بنسبة ٦٢٪	الإكثار من تناول زيت الزيتون من طرف النساء.
سرطان المعدة	تقليل من حدوث هذا النوع من السرطان.	تناول زيت الزيتون بانتظام.
سرطان الجلد	وقاية من حدوث سرطان الجلد القتامي "Mélanoma".	الإدهان بزيت الزيتون بعد السباحة والتعرض للشمس.
قرحة المعدة	منع نمو جرثومة Pylori Helicobacter المسؤولة عن قرحة المعدة.	تناول زيت الزيتون بانتظام.
الرضاعة	يتوصل الرضيع بحليب الأم مشبعاً بدهون الأم من النوع الممتاز للصحة والنمو والجودة.	حليب الأم يحتوي على الدهن اللامشبعة الوحيدة "Monoinsaturé" وهو من أفضل الدهون بعد تناول زيت الزيتون.
التهاب مفاصيل اليدين والقدمين وغيرها	علاقة عكسية بين تناول بعض أغذية وحدوث المرض.	الدهون غير المشبعة ومضادات الأكسدة
قمل الرأس	زيت الزيتون يقتل القمل الموجود في الرأس.	العلاج على عدة مراحل.

الزيتون في القرآن الكريم والحديث النبوي

الزيتون من الأشجار المباركة والتي ورد ذكرها صراحة في القرآن الكريم ست مرات، والمرة السابعة غير صريحة. وأوصى النبي ﷺ أصحابه بأن يأكلوا من زيتها ويدهنوا به. وقد ثبت علمياً فوائد أكل زيت الزيتون والدهان به.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾(الأنعام:٩٩)، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾(الأنعام:١٤١)، وقال تعالى: ﴿اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(النور:٣٥)، وقال تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۞ وَطُورِ سِينِينَ ۞ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ﴾(التين:١-٣)، وقال تعالى: ﴿يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(النحل:١١)، وقال تعالى: ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۞ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۞ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۞ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۞ وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۞ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ۞ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾(عبس:٢٦-٣٢)، وقال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ﴾(المؤمنون:٢٠).

عن أبي أسيد ﷺ قال رسول الله ﷺ: "كلوا الزيت وأدهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة" (رواه الترمذي)، وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يُحرم غسل رأسه بخطمي وأشنان، ودهنه بزيت غير كثير.

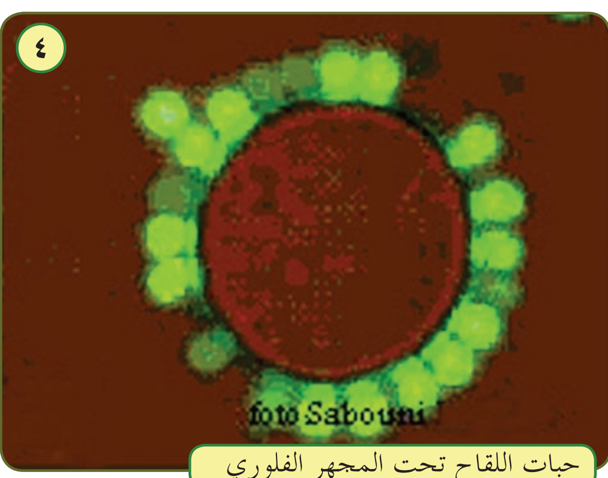
يتكون الزيت من الأحماض الدهنية (Fatty Acids) والجليسرول (Glycerol). وترجع القيمة الغذائية والطبية العالية لزيت الزيتون، لاحتوائه على نسبة عالية من الأحماض الدهنية غير المشبعة الأحادية، والتي تصل إلى ٨٣٪ من زيت الزيتون، وهي تفوق نسبتها في الأشجار الأخرى بكثير، كما يحتوي زيت الزيتون على نسب عالية من الفيتامينات وخاصة فيتامين E.B والكاروتين، لذلك قال الرسول محمد ﷺ: "كلوا الزيت وأدهنوا به فإنه يخرج من شجرة مباركة".

تكنولوجيا الدورة الحياتية للزيتون


١
برعم حامل أزهار


٢
أزهار ناضجة


٣
أزهار تحت المكبرة المزدوجة



٤
حبات اللقاح تحت المجهر الفلوري

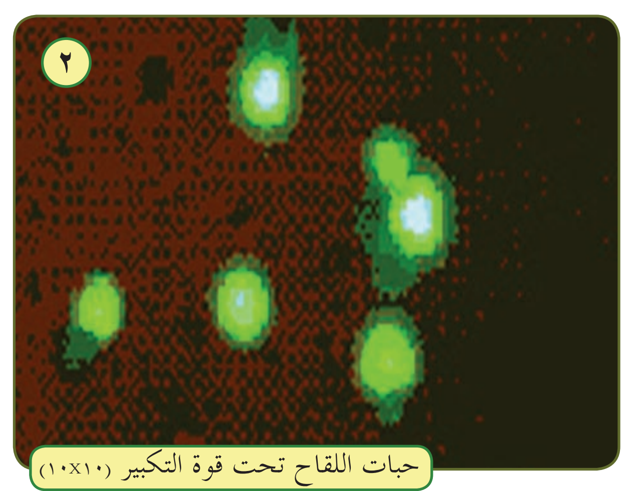

٥
زيتون غير ناضج

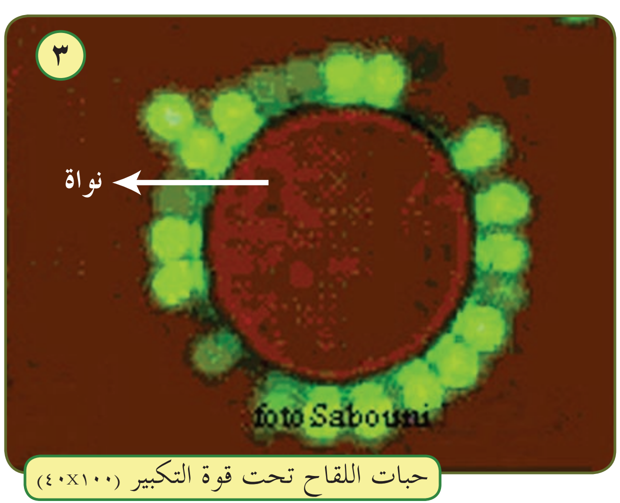

٦
زيتون ناضج

التجارب

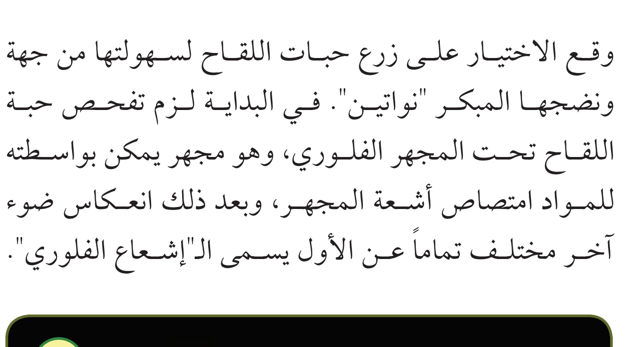
في تكنولوجيا شجر الزيتون المبارك، الحصول على نبيتات أحادية الصيغة الصبغية (n chromosomes) يشكل منعطفاً تجريبياً وتقنياً جد مهم. عزل البويضة أو حبات اللقاح، وزرعها في وسط زراعي متكامل مكون من: مواد ضرورية ومواد معدنية وفيتامينات وهرمونات نباتية. وقد وقع الاختيار على زرع حبات اللقاح لسهولتها من جهة ونضجها المبكر "نواتين". في البداية لزم تفحص حبة اللقاح تحت المجهر الفلوري، وهو مجهر يمكن بواسطته للمواد امتصاص أشعة المجهر، وبعد ذلك انعكاس ضوء آخر مختلف تماماً عن الأول يسمى الـ"إشعاع الفلوري".


١
حبات اللقاح تحت المجهر الفلوري العالي الدقة


٢
حبات اللقاح تحت قوة التكبير (١٠x١٠)



٣
حبات اللقاح تحت قوة التكبير (١٠٠x٤٠)



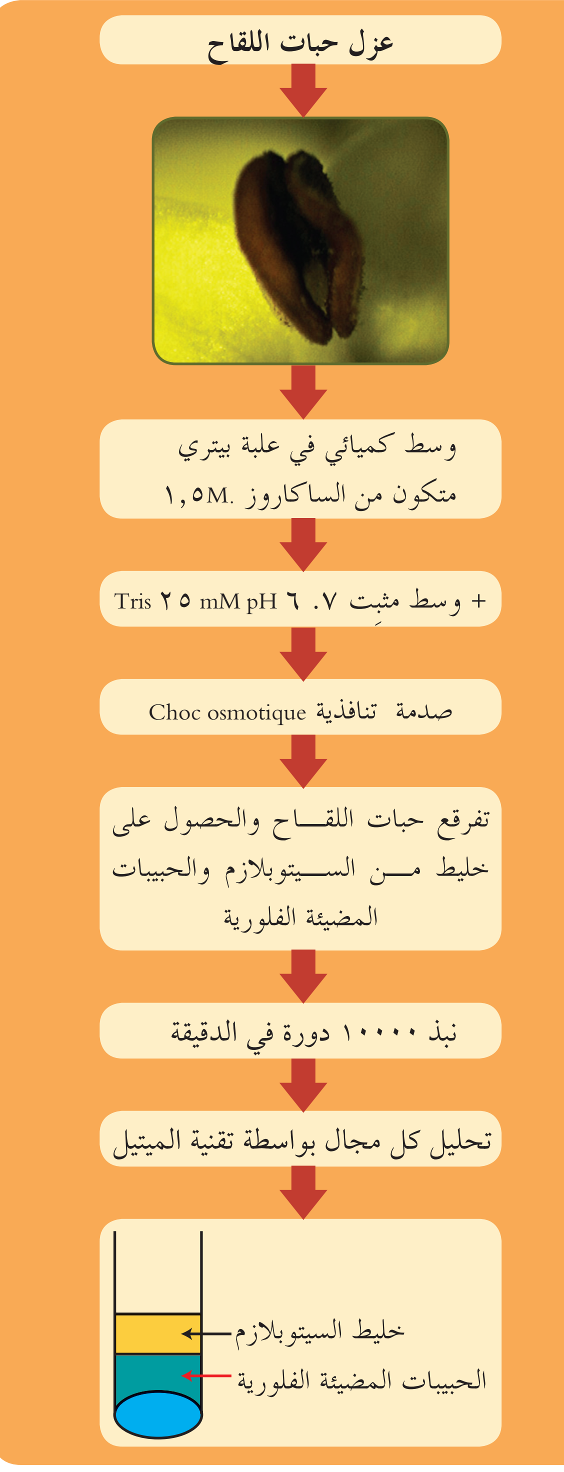
خاصية الضوء

الضوء هو إشعاع كهرومغناطيسي ذو طول موجي، يمكن للعين البشرية أن تراه إذا وقعت طول موجته بين نحو ٧٥٠ نانومتر (الضوء الأحمر) و٣٧٠ نانومتر (الضوء البنفسجي). والعين تستطيع رؤية الأجسام غير الشفافة من خلال انعكاس الضوء عليها. كلمة الضوء تطلق على هذا الحيز الوسطي من طيف الإشعاع الكهرومغناطيسي، الذي يمتد من موجات الراديوية (أي موجات الراديو) المستعملة في إرسال الراديو بطول موجة بين السنتيمتر وعدة كيلومترات، ويمتد من الناحية الأخرى للطيف المرئي من الأشعة الفوق بنفسجية إلى الأشعة السينية، ثم إلى أشعة "جاما" التي تصدر من أنوية الذرات، ولها طاقات عالية ودرجة نفاذ عالية.

ينتشر الضوء في جميع الاتجاهات وبسرعة فائقة جداً، لدرجة لا يوجد في حياتنا اليومية أي شيء يدعونا للقول إنه يتحرك أسرع من الضوء. يكون انتشار الضوء في خطوط مستقيمة. تختلف حساسية العين باختلاف الطاقة الإشعاعية المستقبلة من الأجسام المضيئة أو المرئية. والعين قادرة على التمييز بين الألوان المختلفة المكونة للضوء العادي، ضوء الشمس المرئي الواصل لسطح الأرض، حيث إنه لكل لون خواص مختلفة عن اللون الآخر، حيث تقع حد حساسية العين في التمييز أو الرؤية للألوان أي للموجات الضوئية بين الضوء الذي طول موجته ٤٠٠ نانومتر إلى ٧٠٠ نانومتر، أي هاتان القيمتان هما حدود الإحساس بالرؤية. لكن للعين أيضاً أن تكشف الضوء بطول موجة خارج عن هذه الحدود إذا كانت شدة الضوء عالية لدرجة كافية. وتستخدم الألواح الفوتوغرافية والكاشفات الإلكترونية الحساسة للكشف عن الإشعاع، بدلاً عن العين البشرية وخاصة خارج الحدود المذكورة. هذه الحدود تعرف بحدود الضوء المرئي (Domaine du visible).

هذه النتائج المذكورة تبين جلياً بالصورة حبة اللقاح وكأنها ثريا مضيئة بمصابيح، وهي في الحقيقة تمت تسميتها بالحبيبات المضيئة الفلورية، وسبحان الله حين قال: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾.

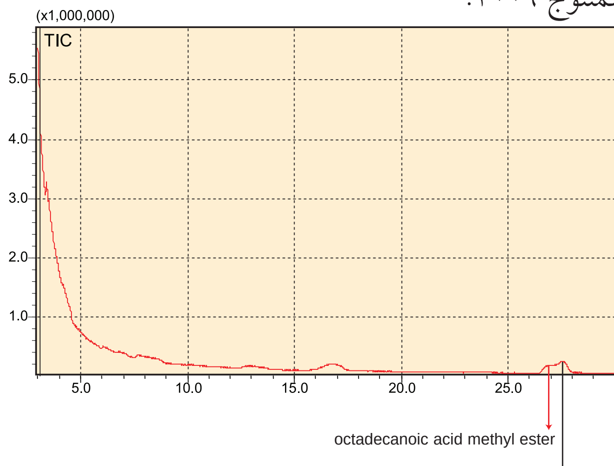
والتجربة التالية هي عبارة عن عزل هذه الحبيبات المضيئة الفلورية، بعد عزل حبات اللقاح لأزهار شهر مايو ٢٠٠٩ وتحليلها بتقنية التحليل الكروماتوغرافي في الطور الغازي.



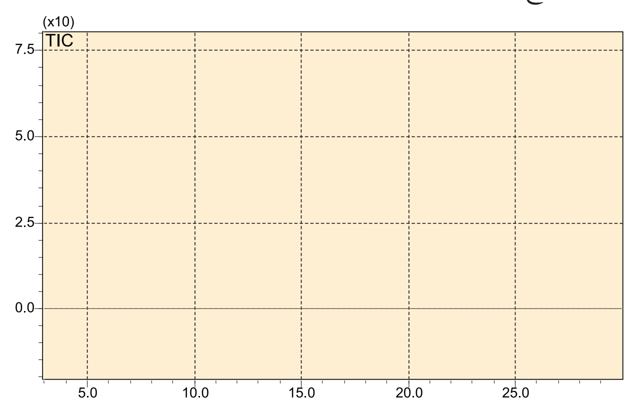
تحليل كل مجال بواسطة تقنية الميتيل التي تمكن من التحليل (الكروماتوغرافي) تحت المجال الغازي.

٠,٢ غ من محلول الحبيبات المضيئة الفلورية +٤ مل من heptane + ٠,٤ مل من الخليط KOH في Méthanol. هذه العملية تتبع بارتجاج طاقي مهم. مستخلص الميتيل يمر عبر قناة التحليل الكروماتوغرافي في المجال الغازي مما يعطينا مخططاً لونياً (أنظر أسفل):

الرسم رقم ١: مقارنة تحليل مستخلص الميتيل للحبيبات الضوئية الفلورية لشجر الزيتون مع حبات اللقاح لزهر أركان لمنتوج ٢٠٠٩.



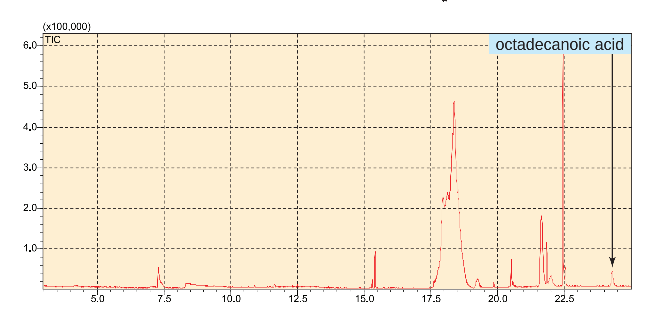
التحليل الكروماتوغرافي تحت المجال الغازي للحبيبات الفلورية المضيئة لحبات لقاح الزيتون.



التحليل الكروماتوغرافي تحت المجال الغازي لحبات لقاح شجر أركان.

يظهر التحليل الكروماتوغرافي تحت المجال الغازي في الرسم رقم ١ والرسم رقم ٢. النتائج تبين أن الحبيبات الفلورية المضيئة لحبات لقاح الزيتون تحتوي على أحماض دهنية octadecanoic acid methyl ester و cyclopropanedecanoic acid ٢-octyl methyl ester

التحليل الكروماتوغرافي تحت المجال الغازي لزيت الزيتون.



هذه النتائج تبين أن زيت الزيتون يحتوي على هذين الحمضين الدهنيين، مما يبرهن على أن هذه الحبيبات المضيئة الفلورية تساهم بشكل كبير في التكوين الكيميائي لزيت الزيتون وهي من بين مكونات الزيت. هذه النتائج المبهرة تؤكد الآية الكريمة: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ﴾، ومن ثم هذه الحبيبات المضيئة الفلورية مكونة من زيوت "أحماض دهنية".

octadecanoic acid

الأحماض الدهنية المشبعة تشكل سلاسل على التوالي، مما يسمح للكائنات الحية تخزين المواد الكيميائية والطاقة بنسبة مهمة جداً. الأنسجة الدهنية للحيوانات تحتوي على كميات كبيرة من سلسلة طويلة والأحماض الدهنية المشبعة.

جسم الإنسان لا يمكن أن ينتج اثنين من الأحماض الدهنية التي يحتاجها، هما حامض Linoleic وحامض Linolenic ألفا (LNA) يتم توزيعها على نطاق واسع في الزيوت النباتية. أحماض أوميغا ٣ الدهنية Eicosapentaenoic حمض وحامض Docosahexaenoic لا يمكن أن تتكون في الجسم من المواد الأخرى، وينبغي إضافتها في الغذاء، وأنها تسمى الأحماض الدهنية الأساسية للبشر في الجسم. والأحماضُ الدهنية الأساسية هي في المقام الأول تستخدم لإنتاج مواد مثل الهرمونات التي تنظم مجموعة كبيرة من الوظائف، بما في ذلك ضغط الدم، وتخثر الدم، ومستويات الدهون في الدم، والاستجابة المناعية. يحتوي الدماغ على ٦٠٪ من الدهون والأحماض الدهنية الأساسية لاحتياجات العمل بصورة سليمة، وهي متاحة فقط من خلال النظام الغذائي، أو من خلال التكميلية.

ورغم أن الجسم يحتاج إلى كل من أوميغا ٣ وأوميغا ٦ والأحماض الدهنية، ويوفر النظام الغذائي عادة كميات وفيرة من الأحماض الدهنية أوميجا ٦. وعند مناقشة فوائد الأحماض الدهنية، فإن معظم الخبراء يركزون على الأحماض الدهنية أوميجا ٣ التي تلعب دوراً مهماً في الحفاظ على الدماغ من نمط الأفكار. أوميغا ٣ والأحماض الدهنية جيدة للقلب، ويمكن أن يخفض معدل الوفاة من النوبات القلبية. هذه الأحماض الدهنية يمكن أن تخفض الكولسترول و Triglyceride لمستويات ضئيلة مما يؤدي إلى خفض ضغط الدم. ■

(*) جامعة محمد الأول، كلية العلوم - وجدة / المغرب.

الفرح
عنوان السعادة الباطنية

جمال أمين *

كل فـرد، كل أمـة، كل كائـن، لا يقـدر علـى اجتياز مسافة نفسه، يتخطى حواجزها المانعة، يجتازها في طرفة عين بطولية، فهو أعجز ولا شـك عن اجتياز ما خرج عن ذاته من مسـافات وعبور غاباتها المظلمة وجبالها الشاهقة.

إن الأمـر يغدو بهذا الشـكل الهندسـي، صارمـا في تكوّنه وتحققه، قاطعاً كالسـكين في نفاذه، لأنه يدخل ذلك في إطار السنن القهرية الغلابة.

أنـت -كلـك- تنبع مـن قلبك، من أرضية نفسـك، أي إن داخلك يتحكم في خارجك، خارجك ليس إلا نباتاً ينمو ويكبر مـن أرضية نفسـك، فإما ورداً وياسـميناً وإما شـوكاً وزقوماً.

لذا فالفسـحة الشعورية والباحة النفسـية، والمساحات الهائلة



التي تؤسس مملكة نفسك، بحاجة إلى مزيد من "المراقبة" و"العناية" و"الاستصلاح"، كي تسلم من شر الطفليات المتسللة عبر السياج، ومن شر كل أذى يتلصص من النوافذ المشرعة، ويتنكر في شعاعة نور أو هبة هواء. ولن يتم هذا الاستصلاح الداخلي إلا بضبط شبكة المفاهيم الحياتية التي تؤطر حركية الإنسان في هذا الوجود، ومن أخطرها مفهوم "الفرح" والذي تضع له الآية الكريمة محددات ضابطة، يقول تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(يونس:٥٨).

فالمفهوم الحقيقي للفرح في ضوء هذه الآية، هو الفرح الحياتي الكياني، ليس الفرح المؤقت في عمر الإنسان، والذي يدوم لحظة أو يوماً أو شهراً أو سنة، بل هو الفرح الدائم المستمر الصادر عن كيان الإنسان كله، النابع من روحه السماوية ومن إيمانه الكوني. فهو ليس بالفرح الدنيوي الذي يحصر الإنسان في ذاته الضيقة، ويتركه أسير حياته الدنيوية القفصية، فلا يتطلع إلى أفق ولا يبصر ما خلفه؛ بل هو الفرح الأخروي الذي يرفع الرأس عالياً -فيبصر مَدَّ البصر ويسمع مَدَّ السمع- ويرى ويعرف ويؤمن فيلتزم ليسعد. الفرح هو السعادة الباطنية التي لا ترتبط ولا تستند على "الأحياء" و"الأشياء"، بل تنبع كالجدول الرقراق من "علٍ"، وتحفر مجراها في روح الإنسان لا في بدنه وشهواته، وتصب وراء سدود الدنيا.

ذلك هو الفرح الذي هو السعادة؛ نبعها من علٍ (بالدين)، ومجراها روح الإنسان (باطنه)، ومصبها وراء الكواليس والحواجز الدنيئة (بالأشواق الروحية)، وآثارها: الخضرة الممرعة والنماء والغنى (الطمأنينة والاستقامة).

وتكشف الآية عن أعماق الإنسان -كل إنسان- في الأرض أية أرض، حينما تربط فرحه المؤقت المحدود بمتاع الدنيا أو بعنصر "الجمع"، فمن طبيعته "الجمع" و"التكاثر" في الأموال والأولاد والنساء...

وهي مقتنيات ومعطيات "الدنيا"، والإنسان الذي يربط حياته بها في سعادتها وشقائها، يكون قد عرض نفسه للأرجحة والاهتزاز والتمزق، بين الحزن مرة والقلق مرة والفرح العابر مرة أخرى، ويظل عرضة للهز والجذب، فلا حياته إلى قرار ولا هي في استقرار. ويمارس مع ذاته لعبة "عصب العيون" أمداً طويلاً إلى أن تتحول اللعبة الخطيرة عادة مستحكمة لا يجد منها فكاكاً.

والآية تحذر من خطر هذه اللعبة التي يمارسها الأشقياء من البشر، فيربطون أخطر مكوّن نفسي وهو "الفرح" في مفهومه القرآني، بأخطر فتنة مزلقة وهي مقتنيات الحياة، ويغفلون -كما شاءت لهم اللعبة الطفولية- عن اليد الساهرة الكالئة المنعمة، فهي سذاجة وهي عناية تبعدهم عن مصدر العطاء والرزق والمقتنيات.

وهكذا فالآية تحدد السند الحقيقي للفرح البشري في الدنيا، إنه "الفضل" و"الرحمة"، وبهما يحيا الإنسان "سعادة الفرح" و"فرح السعادة"، ليس بالضحك فقط، لأنه في معظم الحالات قتل للروح، وخنق للتطلعات، وتعبير عن الخواء والسأم، خصوصاً وقد وضعه الإطار الحضاري المعاصر في صيغ فنية حداثية جذابة، فزُخْرِف بتحاسين المدنية وتقنياتها الفنية، وجُعِلَ وقد أخذ شكله السرطاني المتورم "بوابة" الفرح، ومنفذ السرور، وعنوان السعادة الباطنية.

وهي جريمة تزوير في حق هذا المفهوم الخطير (الفرح)، تمارس ضد سعادة الإنسان. جاء الإسلام لكي يحد من شرها، ويبين للبصائر حقيقتها، بعد أن يقلع عنها العصاب اللعين الذي رضيت بداءة وضعه للعب، ثم استحكم فصار عادة وألفة آسرة، والشياطين الجدد وراء المغفلين يهرجون ويضحكون، ويضعون عصاباً جديداً لكل مغفل جديد.

ومن بداهات السنة القهرية الغلابة، أن كل حضارة في منحناها المنحدر، تعج بمفاهيم مغلوطة تحسبها صوابية قويمة، ولا تراها كما يراها التاريخ الفاحص الخبير بتوراً مرضية تُقرح الجسم، وتتلف فيه الحياة النابضة.

إنها ليست في الواقع إلا صخوراً تثقل عربة الحضارة المنحدرة، لكنها حضارة بعجلة واحدة، وهي "المادية المبهظة"، أما العجلة الثانية فتعاني من الهزال والضعف ما تعاني، فتنحدر بعجلة واحدة، وهي مثقلة بمفاهيم خاطئة كالصخور الثقال... أفجع بها. ■

(*) شاعر وأديب مغربي.



د. مريم آيت أحمد *

فن المعمار الإسلامي

جسر للتواصل الحضاري الإنساني

إن التقاء الحضارات معلم من معالم التاريخ الحضاري للإنسانية، وهو قدر لا سبيل إلى مغالبته أو تجنبه. وقد تمّ دائماً وأبداً وفق قاعدة "التمييز بين ما هو مشترك إنساني عام، وبين ما هو خصوصية حضارية"، وبقدر ما تعظم الحاجة إلى حوار جدي بين الثقافات والحضارات لإقامة جسور التفاهم بين الأمم والشعوب، تقوم الضرورة القصوى لتهيئ الأجواء الملائمة للبحث عن آليات هذا اللقاء والتواصل. والحضارة الإسلامية منذ نشوئها وتكوّنها، لم تخرج عن هذا الإطار التواق إلى التفاعل مع الحضارات الأخرى أخذاً وعطاءً تأثراً وتأثيراً. لقد حمل المسلمون قيم الإسلام العليا وأخذوا في نشرها وتعميمها في كافة أرجاء المعمورة، وبدأت عملية التفاعل بينها وبين الحضارات الفارسية والهندية والمصرية والحضارة الأوروبية الغربية فيما بعد. ومع مرور الزمن نتجت حضارة إسلامية جديدة، أسهمت بتلاقحِ وتفاعلِ تراثها الفكري والمعرفي والفني الإبداعي في إنضاجها لمكونات حضارات الشعوب والأمم التي دخلت في الإسلام. ولم يلبث هذا النضج أن أنتج فناً إسلامياً رائعاً، قُدِّر له أن يكون من أطول الفنون عمراً ومن أوسعها انتشاراً. فنٌّ ازدهر في شتى المجالات، سواء في العمارة أو في الفنون الزخرفية

والتطبيقية وفي الفنون التشكيلية بمختلف جوانبها. فنٌّ يتسم بخاصية التنوع في الوحدة، ويتميز بالحيوية والتفاعل مع غيره من الفنون تأثراً وتأثيراً.

التراث والتأكيد على الهوية

وبصفة عامة، فإن القراءة التاريخية لتطور العمارة الإسلامية من حيث النشأة والنمو، وتشكيلها الحضاري ونماذجها المعمارية وأنشطتها المزدهرة وذكرياتها الحية، يجعلها ظاهرة ذات خصوصية متميزة، تحمل العديد من المعاني والرموز الثقافية الهامة للتواصل الحضاري، بما يعكسه تجسيدها المادي لروح الثقافة الإسلامية في جميع مراحل تطورها وتحولاتها. لذلك ومن دون الاستعانة بالعنصر الثقافي كمكون أساسي لتدويل هذه الإبداعات حضارياً على المستوى العالمي، ستبقى خصوصية وتميز العمران الإسلامي منقوصة وباهتة، وغير قابلة للمشاركة والنتاج في عالم وحدته سوق العولمة بوسائل الاتصال المختلفة، وطغت عليه أساليب الدعاية المبهرة في أشكالها ومحتوياتها.

إن التأمل في المشهد المعماري الإسلامي اليوم، يثير العديد من التساؤلات الجوهرية والملحة، عن مدى قدرة فاعلية واستمرارية العمارة الإسلامية في مجتمعاتنا، كظاهرة حضارية اجتماعية معاصرة. لا سيما في إطار المتغيرات العالمية المعاصرة، وتزايد التحديات التي تواجهها هذه المجتمعات في ظل زمن العولمة والحداثة وما بعدها. ولعل أهم سؤال يطرح أمام المشهد المعماري المعاصر في البلدان الإسلامية هو: هل ستتمكن العمارة الإسلامية من تحصين نموذجها الثقافي أمام تحديات العصرنة والمعاصرة لنماذج وأنماط ثقافية عولمية؟ هل ستوفّق في إبراز ملامحها الحضارية على الساحة العالمية، كما جسدتها وأتحفت بها إطارات جغرافية واسعة في الماضي؟ وهل يمكن القول بأن زمن العمارة الإسلامية انتهى في مخيلة العقل الجمعي لأبناء العالم الإسلامي، وعوض بالنماذج الغربية؟ كيف يمكن الحديث عن الحوار والتواصل الحضاري، في ظل غياب دعم المؤسسات الإعلامية العالمية لأسس ومرتكزات هذا الحوار الثقافية والفنية والحضارية؟ وبالتالي هل تملك المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية والدوائر الحكومية في بلداننا، بُعداً استراتيجياً لخطاب فكري ثقافي يؤهلها لبلورة رؤى مستقبلية تسهم في رسم صورة المعمار الإسلامي في ذاكرة الأجيال، وتؤهلهم للمساهمة به في النتاج العالمي؟ هذه أسئلة وأخرى تطرح نفسها في سياق إشكالية الأصالة والمعاصرة.

إن المحافظة على صناعة وتطوير الفن المعماري، باتت تمثل مطلباً تسعى إليه الكثير من دول العالم تأكيداً لهويتها الوطنية. وفي إطار التنظيرات والاجتهادات التي تهدف للمحافظة على تراثنا الحضاري، ينبغي الوعي بالدور الذي يمكن أن يساهم به فن المعمار الإسلامي في بناء جسور التواصل الإنساني والحوار الحضاري العالمي.

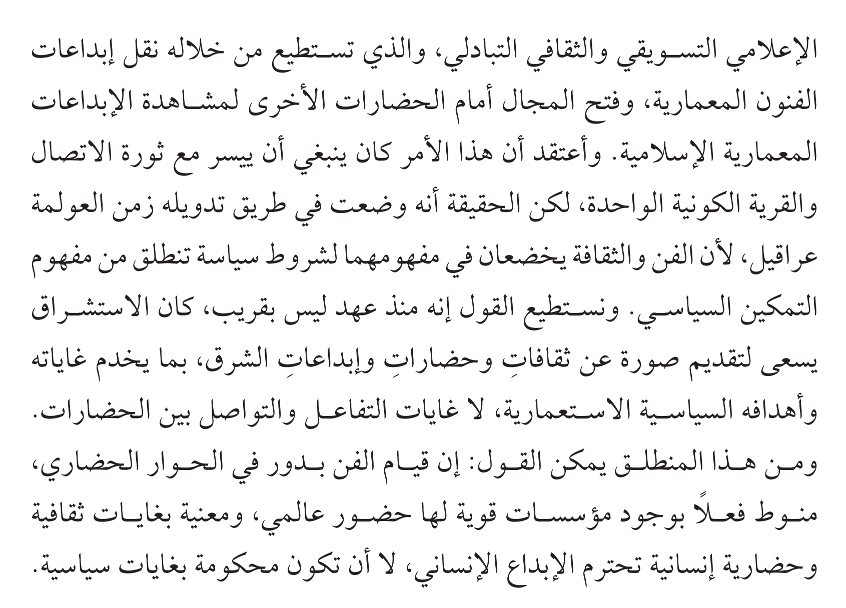
فن المعمار أقدر على التواصل مع الآخر

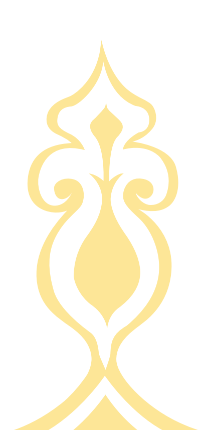
فن المعمار الإسلامي أي دور يمكن أن يلعبه في حوار الحضارات؟ يمكننا القول: إن الفن عموماً والمعماري منه خصوصاً، هو أصدق أنباء التاريخ وهو واحد من أهم علوم هندسة الروح والجسد وأكثرها سمواً ورقياً، ذلك لأنه قادر كموسوعة وقوة خازنة لخيال الأمم، على تحقيق التواصل والتفاعل الحضاري. ولكن ما هو الدور الذي يمكن للمعماري الإسلامي أن يلعبه الآن، بعد أن تزعزعت نظرية حوار الحضارات؟ هل ما زال المعماري قادراً على إعطاء الصورة الصحيحة لحضارته من خلال العمارة؟ ما هي اللوحة المعمارية القادرة على إيصال حضارتنا وهويتنا الحقيقية للآخر؟ وهل يختلف الآخر في تعامله مع فن المعمار الإسلامي قياساً بفنون المعمار للحضارات الأخرى؟

إن الفن المعماري أقدر من غيره على التواصل مع الآخر، والحضارةُ الإسلامية تواصلت مع مختلف الحضارات في الشام والعراق والهند والصين والأندلس، وأفادتها أكثر مما استفادت منها. وقد لعب الفن المعماري الإسلامي دوراً كبيراً في خلق حوار فني حضاري متميز، لأنه انطلق من هويته وحافظ على خصوصيته الثقافية فاستطاع من خلال جمالية إبداعه الفني تقديم الوجه الحقيقي لحضارته. لكن إلى أي حد يمكن للفن المعماري الإسلامي أن يسهم في النتاج الحضاري العالمي، ويؤسس لبناء جسور التواصل الحضاري بين الشعوب، في ظل غياب دعم إعلامي عالمي تسويقي لمنتجاتنا الحضارية؟

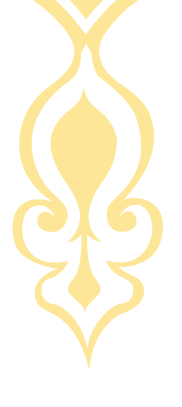
لا سيما وأن المساهمة الرئيسية لتعزيز حوار الثقافات والحضارات في عصرنا، موكولة لمؤسسات وجهات لها طابعها

الإعلامي التسـويقي والثقافي التبادلي، والذي تسـتطيع من خلاله نقل إبداعات الفنون المعمارية، وفتح المجال أمام الحضارات الأخرى لمشـاهدة الإبداعات المعمارية الإسلامية. وأعتقد أن هذا الأمر كان ينبغي أن ييسر مع ثورة الاتصال والقرية الكونية الواحدة، لكن الحقيقة أنه وضعت في طريق تدويله زمن العولمة عراقيل، لأن الفن والثقافة يخضعان في مفهومهما لشروط سياسة تنطلق من مفهوم التمكين السياسـي. ونسـتطيع القول إنه منذ عهد ليس بقريب، كان الاستشـراق يسعى لتقديم صورة عن ثقافاتِ وحضاراتِ وإبداعاتِ الشرق، بما يخدم غاياته وأهدافه السياسـية الاسـتعمارية، لا غايات التفاعـل والتواصل بين الحضارات. ومـن هـذا المنطلـق يمكن القـول: إن قيـام الفن بـدور في الحـوار الحضاري، منـوط فعـلاً بوجود مؤسسـات قوية لها حضـور عالمي، ومعنية بغايـات ثقافية وحضارية إنسانية تحترم الإبداع الإنساني، لا أن تكون محكومة بغايات سياسية.





إن الفن المعماري أقدر من غيره على التواصل مع الآخر، والحضـارة الإسلامية تواصلت مع مختلف الحضارات في الشـام والعـراق والهنـد والصـين والأندلس، وأفادتها أكـثر مما اسـتفادت منها. وقد لعب الفن المعماري الإسلامي دوراً كبـيراً في خلق حوار فني حضاري متميز، لأنه انطلق من هويته وحافظ على خصوصيته الثقافيـة فاسـتطاع مـن خلال جماليـة إبداعـه الفنـي تقديم الوجه الحقيقي لحضارته.



فن العمارة الإسلامي جسر للتلاقح الحضاري

إن العالم الإسلامي مليء بتجارب ومهارات فنية هندسية معمارية بالغة الأهمية، إلا أنـه لـم يتح لهـا المجال للدخول في مشـروعات عالمية وأن تقدم لشـعوب العالم، بسـبب هيمنة قوى سياسـية تؤمن بعقلية الصدام مع الحضارة الإسلامية، ولا تقبل بمد جسور الحوار والتواصل الثقافي والفني والحضاري مع أي مسمى إسلامي. فهناك عدد كبير من المؤلفات ومنها الموسوعات، سواء الأوروبية منها أو الأمريكية أو السـوفييتية سـابقاً... التي تسـتعرض الفنون العالمية، وتبالغ في الحديـث عن الفنون الإغريقية والرومانية والبيزنطية وفنون عصر النهضة، لكنها لا تشير إلى الفن المعماري الإسلامي إلا بشكل عابر، وتنظر إليه بمنظار المعايير الغربية الناتجة عن تطور آراء فلسـفية، وأوضاع تنموية، ومواقف ثقافية، وأنظمة اجتماعيـة لا علاقة لها بالمنهج الإسـلامي ومعاييـر حضارته وطرازه المعماري الفني... لذا جاءت تلك الدراسات قاصرة وبعيدة عن الواقع، خاصة وإنها غالباً مـا توظف التفسـيرات تبعاً لمصالح نخبة سياسـية متعصبة، تهـدف إبعاد علاقة الإبداع الهندسـي الإسـلامي بالثقافة الإسـلامية، والنيل من الصـورة الفنية التي قدمها الإسلام والمسلمون إلى تاريخ الحضارة الإنسانية.

وهـذه الصـورة لا نجدهـا في ثقافة المنظومة الإسـلامية؛ فأهم مـا ميز فن العمـارة الإسـلامي فـي سلسـلة التطور الحضـاري، هـو التأصيل لبناء جسـور التواصل والتلاقح الحضاري. ففن العمارة في تاريخ الإسلام لم يطمس النشاط الحضاري لغير المسـلمين، إذ اسـتفاد من الفنون في جميع الحضارات، سـواء السابقة للإسلام أو الموازية له، على قاعدة الإيمان بأن الحضارات على كوكب الأرض عملٌ إنساني خلاق قام بمؤثرات متفاعلة بين مختلف الشعوب والأقوام. واسـتطاع من خلال هذه القاعدة أن يتفرد بطابع مميز وفريد في سلسـلة التطور الحضاري للعمارة العالمية.

آفاق المعمار الإسلامي في القرن الواحد والعشرين

إن تعددية الحضارات واحترام تراث الآخرين والاستفادة منه، من شأنه موازنة العالم. ويمكن للغرب إذا تحول نحو التسامح والوضوح والنظرة الإنسانية، أن يتحاور مع الآخرين في سبيل تقدم المسيرة الإنسانية. فالحوار خير من القسر واستغلال التمكين السياسي لفرض "هيمنة التغريب الأوروبية" أو عولمة المنظومة الفلسفية الأمريكية. وكما أن الترويج لمفاهيم العنصرية والعزل والإقصاء والتهميش للتراث الفني الحضاري الإسلامي قد يؤثر سلباً على المسلمين، فإنه يؤثر أيضاً على مصالح القوى العالمية، لأنه يقف في وجه التسلسل الطبيعي للتطور الحضاري والتواصل بين الأمم والشعوب.

ومن هذا المنطلق ينبغي الاهتمام والوعي بتاريخنا الحضاري، لأنه السبيل الوحيد لتصحيح الصورة النمطية التي أريد لها لأغراض سياسية أن تشوه الإسلام؛ ثقافة وفناً وحضارة داخل العالم الإسلامي وخارجه. وذلك عبر المحافظة على التراث الحضاري بدراسته ورعايته واستخلاص إيجابياته في تطورنا المعاصر. وهذا سينعكس على العالم الخارجي ليعيد تعزيز التواصل واللقاء بين الحضارات، ويبرهن لمن أراد عزل الإبداع الفني الإسلامي عالمياً، على أن حضارة الإسلام قادت الإنسانية وكان لها بما سجلته من وثائق عمرانية مادية شامخة وناطقة باسم عبقرية الحضارة العربية الإسلامية، أكبر الأثر في التطور الحضاري الإنساني. وفي الوقت الذي لا نستطيع فيه استنطاق المعماريين الذين أبدعوا في تلك التحف الإسلامية التي تتمتع بها فنون العمارة الإسلامية، وفنون الرقش والزخرفة والخط، فهي تنطق معبرة عن نفسها على قدرة المعماري المسلم على ابتكار أشكال هندسية فنية لا حدّ لها، تتجلى في تلك المنشآت الضخمة التي نراها في أغرا وأصفهان وبغداد وتركيا ودمشق والقاهرة والقيروان وقرطبة... والتي تعود إلى خمسة عشر قرناً من تاريخ الحضارة الإسلامية.

سمة التكامل ومخاطبة المجتمع الإنساني

إن أهم ما يميز آفاق فن العمارة في الإسلام هي سمة التكامل التي تمثل جميع الأقاليم الإسلامية، بامتداده على رقعة جغرافية واسعة من العالم الملايوي شرقاً عبر وسط وغرب آسيا، ثم شبه جزيرة العرب حتى إفريقيا، دون إغفال الوجود الإسلامي في أوروبا، سواء في الأندلس وصقلية أو في دول البلقان، فأصلت منظومة هندسية معمارية راقية للرؤية الجمالية الإسلامية التي كونت -ولا تزال- الذوق السائد في المجتمعات الإسلامية، وقد ظلت تعطي لفترة طويلة من الزمن دون انقطاع أو انكسار مما أهّلها للتأثير في جميع فنون العالم فناً وعمارة وزخرفة... وبذلك استطاع فن العمارة الإسلامي مخاطبة المجتمع الإنساني قديماً وحديثاً عبر ما جسده من عمق تراثِ وثقافة الشعوب الإسلامية.

والدليل المادي الشاهد بشموخ عمارته يختلف عن الخطاب الأدبي والسياسي؛ إذ إن للأدلة المادية دوراً حاسماً في ضبط الميزان الصحيح للرأي العام العالمي، وعندما لا يستطيع المرء التعبير بالقلم واللسان والإعلام، يكون المنتج الفني عجزا مادياً يدركه العقل بلا وصف، إذ ينتقل تأثيره من التحفة الفنية المعمارية بشموخها، إلى قلب وروح المتلقي متحديا بذلك عجز اللغة وقصور الإعلام. وأكبر دليل على ذلك الخبرات الهندسية المعمارية العربية التي وصلت بعد سقوط الأندلس إلى قلب أوربا، وساعدت على المساهمة في ظهور عصر النهضة، وكذلك الفنانون العرب الذين استخدمتهم أوربا في تشييد العمارة أمثال المهندس السوري "آبولو دور الدمشقي"، الذي صمم جسر دوبروجا وساحة الفاتيكان في روما. كما أن المهندس المعماري العثماني "سنان" (١٤٨٩-١٥٨٨م) الذي عاصر أشهر فناني النهضة الأوروبية أمثال "مايكل أنجلو" و"بلاديو" و"فنيولي"، خلّف أروع الآثار المعمارية في الأراضي العثمانية؛ ومنها جامع السليمانية وعدد من المساجد والمدارس والمستشفيات والفنادق والقناطر وقنوات المياه.. وكلها معالم لا تزال قائمة تشهد بعبقرية الرجل وحسن إدماجه في نسق المعمار والبناء، مما جعل المختصين الأوروبيين يعدون المهندس "سنان" من أعلام النهضة الحديثة.

وبذلك يخلد هذا الفن أكثر من غيره بصمات شاهدة على الرقي الحضاري للشعوب على اختلاف درجات نموها وتقدمها، رغم محاولات التهميش والعزل التي تحتكم إلى منظومة الصراع والاستعلاء في مصاف دوائر الهيمنة العالمية.

استشراف مستقبل العمارة الإسلامية

منظومة التحليل والاستنباط من فن العمارة الإسلامية يجب أن توصل إلى منتج جيد يحقق الهدف المرجو حضارياً، وهو الارتقاء بتقنيات هذا الفن عبر الاستفادة من التكنولوجيا الحديثة مع تأكيد الهوية الحضارية، دون الإخلال بوظيفةِ ومرتكزات هذا التراث. والحفاظ على فلسفة الحضارة الإسلامية يتطلب الحفاظ على الهوية الإسلامية، بحيث لا ينفصل بناء العمران عن بناء الإنسان في ظل القيم الإسلامية. وقد يتطلب منا تحقيقُ هذا الهدف على المستوى الواقعي والعملي، استشرافَ بدائل فكرية تنظيرية وعملية قد تعيد المكانة العالمية لهذا الفن التراثي الأصيل، وذلك من خلال:

• البحث عن الذات كبديل للتبعية الثقافية والفكرية في العمارة والعمران، وتوعية الأجيال بأهمية مميزات التراث الحضاري والموروث العمراني الحضاري الإسلامي.

• العمل على تشكيل لجان تربوية متخصصة لإدخال هذه الأنشطة والمعلومات حول أهمية تراث الفن المعماري الإسلامي في مناهج التعليم المختلفة في الأوطان الإسلامية، بدءً من المرحلة الابتدائية حتى الدراسات العليا، وإنشاء متاحف مدرسية، وتنبيه الأجيال على ضرورة الاعتزاز بهذا التراث، مع إعادة قراءته وتوظيفه في النظرية المعمارية المعاصرة.

• وضع النظرية الإسلامية في العمارة وتقديمها للعالم كنظرية عالمية، وشرح دور هذا التراث المادي والروحي وأثره الكبير والفعّال على حضارات العالم؛ مثل الاستفادة من خبراء عرب الأندلس في تأسيس حضارة عصر النهضة، وتبادل الخبرات ودور العبقرية العربية الإسلامية في تطوير الحضارة الغربية.

• تفعيل التواصل مع المعماريين العالميين من خلال الاهتمام بالفنون المعمارية في المراكز الثقافية العالمية، والعمل على دعم مراكز البحوث الدولية التي تتناول قضايا الفن المعماري الإسلامي بموضوعية، والتوسع في إقامة معاهد ومراكز مماثلة في أهم العواصم العالمية، وإقامة الندوات المشتركة، وتنظيم القوافل والمعارض للتعرف بفن المعمار الإسلامي وتكثيف التعاون مع الشبكات الفضائية والإلكترونية الناشطة في العالم.

• تشجيع ودعم ورعاية مراكز التوثيق العربية والمتاحف ودور الآثار المعنية بذلك، والعمل على إصدار كتب وأفلام ودعم مؤسسات إعلامية ونشرات ووثائق عربية موحدة؛ كالموسوعات العربية الكبيرة لتدويل هذا الفن وتسويقه عالمياً بكل اللغات.

• تشجيع السياحة الثقافية للفنون المعمارية بصفتها شكلاً من أشكال الحوار الثقافي والحضاري بين الشعوب، وعقد الندوات والمؤتمرات للعمل على تنمية التواصل الثقافي، سعياً إلى التعرف المباشر على ثقافة الآخرين واحترام التنوع والتعددية في الوسائل والمضامين الإبداعية والتعريف بفن العمارة الإسلامية وضمان الحضور في الفضاء الاتصالي العالمي.

• مجابهة تيار العولمة بكل الإمكانيات التقنية الحديثة المتوافرة لإيصال الفن المعماري الإسلامي إلى جميع أنحاء العالم، ونشر ذلك بكل الوسائل الإعلامية المرئية والمقروءة والمسموعة، ووضع خطة مرحلية مبرمجة بالتنسيق مع الهيئات العربية المعنية في جامعة الدول العربية، ومراكز التوثيق العربية والمراكز الصديقة والداعمة للتراث العربي في الخارج لمواجهة الهجمة الشرسة التي تسعى لطمس معالم تراث الحضارة الإسلامية.

• وضع التشريعات والقوانين التي تمنع العبث بالتراث المعماري أو سرقته أو إتلافه أو الاعتداء عليه أو الاتجار غير المشروع به واعتبار مثل هذه الممارسات تمس بالأمن الثقافي.

• تفعيل دور الجامعات في نشر إبداعات هذا الفن، وذلك من خلال إجراء البحوث والدراسات وإبرام اتفاقيات الشراكة والتوأمة وتصميم المناهج والبرامج المناسبة وإنشاء الكراسي المتخصصة في فن العمارة الإسلامي.

• اعتبار الحق في التنوع والتعدد الثقافي، والاحترام المتبادل للمقومات الحضارية والثقافية شرطاً لا غنى عنه للحوار المتكافئ والتعايش السلمي، ودعم منظومة الحقوق الثقافية للشعوب عبر إدراج موضوع التنوع الثقافي في فن العمارة والحوار بين الحضارات محوراً في برامج الاحتفال بالعواصم الثقافية الإسلامية. ■

(*) كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل بـ"القنيطرة" / المغرب.



الجهاز المناعي يتكلم

أ.د. عرفان يلماز *

عزيزي عبد الله... أنا جهازك المناعي ولقد خلقني ربي ﷻ ببالغ الدقة والروعة، مهمتي حماية خلايا جسدك من أعدائها، وأنت بحاجة إلى جيوشي وقواتي الخاصة.

عزيزي عبد الله.. أنا جهازك المناعي، وقد كلفني رب السماوات والأرضين بحماية خلايا جسدك من أعدائها، وجعلني بكافة قوّاتي الخاصة خادماً لك، أي لنقلْ، أنا الجيش المنوط بحراسة جسدك. وقد توزعت بداخلك على فِرَق ووحدات عسكرية لكل منها تخصصها. فأنا أُشبه التشكيلات العسكرية تمام الشبه؛ فكل فرقة عسكرية بداخلي تعمل تحت مظلة النظام المناعي بعد أن تتدرّب تدريباً جزئياً أو تاماً، وتكون قادرة على أداء مهمتها الدفاعية. والمهام التي يقوم بها جنودي، مهام متعددة تختلف حسب تخصصات الجنود الدفاعية، فمن هؤلاء الجنود من تم تزويده بالأسلحة الثقيلة؛ فيقتل عدوه بالقنابل والطلقات النارية، ومنهم من ينتج مواد سامة خاصة، تتناسب مع نوع العدو يحقنها في جسد العدو فيرديه قتيلاً، ومنهم من يعمل بمثابة مصنع للقمامة والنفايات؛ يجمع جثث الأعداء ويمزقها حتى

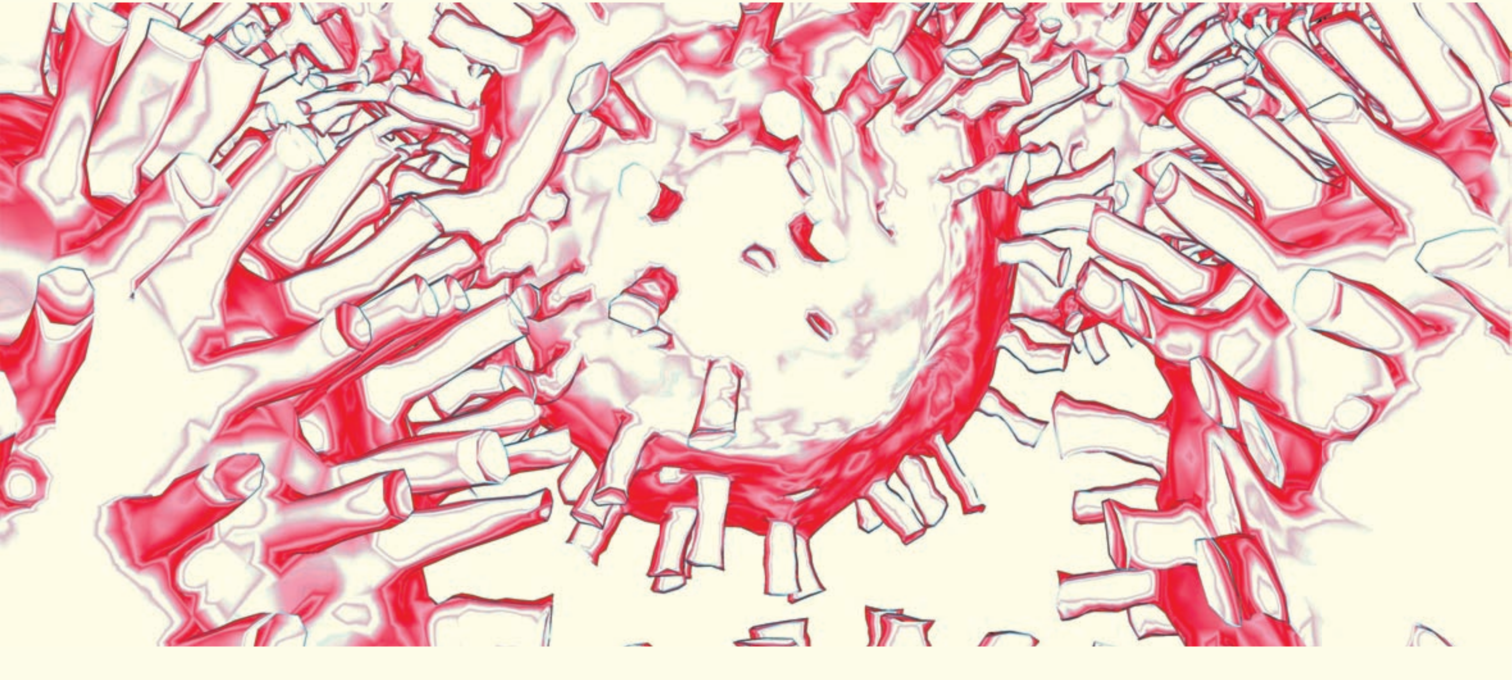
لا تفوح رائحتها فتلوث جسدك، كما أن منهم من يلتهم الأعداء التي تهاجم خلايا جسدك، ويبتلعها حية. وبعض هؤلاء الجنود ينتج المادة الخام اللازمة للتسلح، والبعض آخر يُحول هذه المادة الخام إلى أسلحة. كما توجد وحدات عسكرية أخرى تقوم بمهمة التحصينات، وأخرى بالإمدادات والدعم اللوجستي، وغيرها تقوم بالتخابر والمراسلة. وتضم تشكيلاتي العسكرية أيضاً، وحدات تشبه فِرَق الكوماندوز الخاصة، وكذلك وحدات عسكرية ذات ذاكرة قوية للغاية تقوم بالتعرف على عدوها مرة فلا تنساه بعدها أبداً. وهؤلاء الجنود هم بمثابة مركزٍ للمعلومات، فتفتش عن الأعداء الذين يتسللون إلى الخلايا ويشكلون خطراً عليها، فتتعرف عليهم، ثم تقوم مباشرة بإعداد إستراتيجية حربية تتفق وطبيعة هذا العدو، إستناداً إلى ما لديها من ملفات أرشيفية عنه، لأنه إذا ما عُرف العدو يكون التصدي له أيسر وأكثر سهولة.

آلية الدفاع المعقدة

والآن وبعد هذا التشبيه، دعني أحدثك باختصار عن أعدائك وعن تخصصات جنودي المتمركزة داخل جسدك للتصدي لها، ولكني أجدني مضطراً لأن ألفت انتباهك إلى أمر مهم مرة أخرى. فأنت تعلم يا عبد الله أن لكل جيش أو وحدة عسكرية قائداً يتفق وحجم الموقع الذي يتولاه داخل التراتبية العسكرية، ولكل قائد رئيس ومرؤوس. وبهذه الكيفية تسير الأمور دون خلل في ظل نظام الأوامر والانضباط العسكري. وإن الذي وضع داخل جسدك هذا الجيش العظيم هو الله ﷻ الذي لا منتهى لعلمه وقدرته، الخالق البارئ المصور. ولما كان الله تعالى بعلمه الأزلي، يعلم الأعداء التي سيواجهها جسدك طيلة حياتك، فقد خلقني وجهزني لمحاربة هؤلاء الأعداء وحمايتك منهم.

إن أعداء جسدك عبارة عن ميكروبات تتسلل إليه من خارجه أو تغزوه بطرق مختلفة؛ إما عن طريق الجهاز الهضمي أو التنفسي أو من خلال عملية الإخراج أو عن طريق الجلد. وعندما تذكر كلمة "ميكروب" ينبغي أن يتبادر إلى ذهنك أنواع كثيرة ومختلفة من الكائنات الحية كـ"البكتريا" و"الفطريات" و"الفيروسات". ولكل ميكروب الطرق الخاصة لمكافحته، وجنودي مهرة متخصصون في ذلك. وأنا بطبيعة مهمتي عليَّ أن أكون متيقظاً وحذراً دائماً إزاء الميكروبات التي ترد إلى الجسد من خارجه. وهذا أمر طبيعي، فالميكروبات المهاجمة من الخارج كلها أعداء بطبيعة الحال، ولكن بعض خلايا جسدك تتحول فجأة إلى عدو إرهابي فتبدأ في الإخلال بالنظام والإضرار به، وهي ما تسمونه "الخلايا السرطانية". كما أنني أجد صعوبةً بالغة في التغلب على هذه الخلايا السرطانية، لأنها خلايا من داخل جسدك، تعرف خططنا وطرق مكافحتنا، ولكننا نتغلب عليها أيضاً بإذن الله ﷻ. غير أن الضغط العصبي والحزن المفرط وغيرها من الحالات النفسية تؤثر عليَّ وتضعفني. وفي حال استمرار هذا التوتر طويلاً فإن بعض الخلايا السرطانية قد تخرج عن سيطرتي فتنمو وتبدأ في التحول إلى أورام. والخلايا السرطانية في الأصل تتكاثر بشكل كبير أكثر مما نتوقع، ولكن جنودي يقومون وبشكل مستمر بفحص كل خلية جديدة تتكون؛ يحددون طبيعتها وما إذا كانت عادية أم سرطانية. وبمجرد اكتشافهم خلية إرهابية مسرطنة، يأخذون في التعامل معها والتصدي لها مباشرة. ولكن هناك من الخلايا السرطانية من تسبح في الجسد كالذئاب، لابسة مسوح الخراف حتى لا تُعرف. ولذلك فإن بعض دورياتي العسكرية قد تنخدع فيها، لأن مهمتها تقتصر فقط على فحص الخلايا ظاهريًّا من خلال معاينة غشائها الظاهري. فهناك بروتينات ذات شفرة خاصة يُعرف بها الميكروب أو الخلية السرطانية من خلال غشائها. ونحن نطلق هذه الجزيئات المشفرة تجاه الخلايا دون أن نلمسها، لنحافظ عليها لكونها جزء من جسدك. ولكن الأعداء الآخرون الذين يهاجمون الجسد من خارجه يتم ضبطهم وقتلهم فوراً لجهلهم بكلمة السر، أما في أمراض كالسرطان، فإن الخلايا السرطانية قد يمكنها الانفلات والهروب من دورياتنا العسكرية لعلمها بكلمة السر. وقد يحدث العكس في بعض الأحيان فيصاب جنودنا بعطب أو تلف، حيث تعجز عن التعرف على خلايا الجسد الأخرى الصديقة رغم أن الشفرة الموجودة عليها صحيحة فيهجمون عليها، ويعاملونها معاملة العدو.

وقد يعد ذلك الوضع المعروف بأمراض "المناعة الذاتية" وضعاً بالغ التعقيد والاضطراب، حتى إنني شخصياً يصعب عليّ فهم أسبابه فهماً جيداً. فعلى سبيل المثال، هناك العديد من الأمراض مثل "روماتيزم المفاصل"، حيث يكون علاجه صعباً، بل وأحياناً يستعصي علاجه. وفي مثل هذه الأمراض



المزمنة يقوم جنودي بمحاولة الفتك بهذه الأمراض من خلال الهجوم على الأنسجة التي تعيش فيها كالغضاريف، وعضلة القلب، وعدسة العين، والكلية.

وعندما خلقني الله تعالى أنا الجهاز المناعي وجعلني جزءاً من نظام جسدك المتكامل، إذ كنتَ حينها جنيناً في بطن أمك، أبرم بعض جنودي ميثاقاً أعلنوا فيه أن خلايا الجسد الأخرى في أمان وعهد وصداقة مع جنود الجهاز المناعي، وأن هؤلاء الجنود لن يقاتلوا إلا أعداء الجسد. ولكن ولسبب من الأسباب اختل هذا الميثاق ولم أعد أقدر على إنفاذ كلمتي على جنودي، الأمر الذي أدى إلى أن يعاني الناس من الأمراض المناعية.

وحسبي هذا القدر من الحديث عن الأمراض. والآن سأترك جنودي يحدثونك عن تشكيلاتهم ومهامهم العسكرية.

كرات الدم البيضاء

يُطلق علينا -نحن جنود الجهاز المناعي- بشكل عام "كرات الدم البيضاء". ونحن موجودون داخل الدم بمتوسط ٦٠٠٠-٧٠٠٠ ملم^{3}. ولأن كرات الدم الأخرى يطلق عليها "كرات الدم الحمراء"، فقد أطلقوا علينا كرات الدم البيضاء. ونتميز بإمكانية الوصول إلى كافة أنحاء الجسد من خلال الشعيرات الدموية، ولذلك يمكننا التجول داخل الجسد كله والبحث لأنفسنا عن عمل فيه. وبديهي أنه لا يمكن لأي شخص أن يفعل كل شيء، ولذلك ننقسم -بداية- إلى فرقتين عسكريتين؛ يُطلق على خلايا الدم البيضاء الموجودة بالفرقة الأولى "الخلايا المحببة" لكونها ذات شكل حبيبي، ويطلق على الخلايا الموجودة بالفرقة الثانية "الخلايا غير الحبيبية".

وتنقسم هاتان الفرقتان بدورهما إلى عدد من الوحدات العسكرية؛ فالفرقة الأولى تضم ثلاث وحدات هي: النيتروفيل، والإيزونوفيل، والبازوفيل، بينما الفرقة الثانية تنقسم إلى وحدتين: المونوسايت، والليمفوسايت.

النيتروفيل: يعد أضخم جيوشي داخل خلايا الدم البيضاء (يمثل ٦٥٪ - ٧٠٪) منها، وهو عبارة عن كرات تتحرك حركة أميبية فتقترب من موضع الميكروب، وهي قادرة على التهامه وابتلاعه، كما أن الأنزيمات الهاضمة التي تحملها الحبيبات الموجودة بداخلها، قادرة أيضاً على تمزيق هذا الميكروب وهضمه. وعندما يصاب الجسد بأية إصابة، يزداد عدد هؤلاء الجنود الذين يقومون باستكشاف الميكروبات المهاجمة وتطويقها ثم ابتلاعها وهضمها، وهي آية من آيات الله تعالى. بيد أن علماء الفسيولوجيا لديكم يطلقون على هذه العملية "إفرازات كيميائية"، ويجنبون أنفسهم مشقة التفكر في الأمر، ظناً منهم أنهم بإطلاق مسمىً ما على إحدى الظواهر، يكونون قد حلوا الألغاز وتوصلوا إلى حقائق الأمور. في حين أن هذه الإفرازات الكيميائية ما هي إلا السبب الظاهري في العملية فحسب.

الإيزونوفيل: وتشكل هذه الخلايا ١٢٪ من جيوش الحراسة، ولكنكم لا تعلمون تمام العلم طبيعة المهام التي تقوم بها هذه الجنود. إن هؤلاء الجنود يتكاثر عددهم في حالة حدوث حساسية تجاه الأجسام الغريبة "الأنتيجين" التي تغزو الجسم عند حدوث إصابة بأمراض طفيلية. فتتمم هذه الجنود تأثير الأجسام المضادة التي يتم إنتاجها لمكافحة الأجسام الغريبة، وتقلل كذلك من تأثير بعض

المــواد الكيماويــة مثــل "الهســتامين" التــي يُفــرز كردّ فعــل طبيعي ضد الأجســام الغريبــة. كما أنها مواد يظهر تأثيرها في أعراض مثل الاحمرار والحكة والانتفاخ.

البازوفيل: يعد الأقل من حيث عدد الجنود بين هذه الخلايا، وتبلغ نسبته ٠,٥ ٪. توجــد هذه الجنود في مناطق الجروح خلال فترة الشــفاء، وفي مناطق الالتهابات المزمنــة، كمــا تحتــوي حبيباته علــى مادتين مهمتين همــا: الهبارين والهســتامين. يساعد "الهستامين" في الإسراع بتوسيع الشعيرات الدموية، وخروج المواد النشطة الموجــودة داخــل جهازي المناعــي من جدران الأوعيــة الدمويــة، ووصولها إلى منطقة الجرح، بينما "الهبارين" يوفر للدم السيولة اللازمة ويمنع تجلطه.

المونوسايت: أما الفرقة الثانية فيعد "المونوسايت" من أهم جنودها، ويشكل نسبة (٣٪ - ٩٪) منها، وبينما الجنود السابقون يولدون وينشأون داخل النخاع العظمي. فإن جنودي هؤلاء يعيشــون داخل الأعضاء الليمفاوية مثل الكبد والطحال والغدة الثيموســية، والتــي يطلق عليهــا "النظام الشــبكي المبطن". كما تقــوم هذه الخلايا الفتاكة بالتهام الأجسام الغريبة، وكذلك التهام خلايا الدم الحمراء التي كبر سنها، ولم تعد قادرة على القيام بمهامها على النحو المطلوب، ومن ثم فهي تقوم بتنظيف وتطهير الأماكن الموجودة فيها. وخلايا المونوســايت هي خلايا متحركة تتصدى للميكروبات، ويمكنها الخروج من الأوعية الدموية والنفاذُ بين الأنسجة. وتسمى هــذه الخلايا الشــرهة خارج الأوعيــة الدموية بـ"الماكروفــاج". وفضلاً عن أن هذه الخلايا قادرة على التهام وابتلاع أنواع متعددة من الأجســام الغريبة وليس جســماً واحــداً بعينه، فهي أيضاً تزيد من حساســية الليمفوســايت تجاه الأجســام الغريبة.

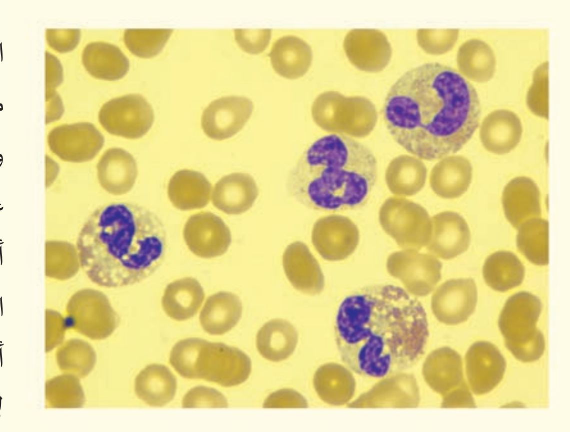
الليمفوسايت: فتعــد من أفضل جنودي التي تلقت تدريبات خاصة، وأصبحت متخصصة في عديد من المجالات. وهي تشكل نسبة (٢٠٪ - ٢٥٪) من جنودي. وهــي تقــوم من خــلال المستكشِــفات الكائنة على ظهرهــا بتحديــد الميكروبات والأجسام الغريبة، ثم تقوم بتقييدها وطردها خارج الجسم. ولكل جندي من هؤلاء الجنود مستكشف يتعرف على جسم غريب بعينه. ولذلك فإن دمك يا عزيزي عبد الله، يمتلك الملايين من جنود الليمفوسايت التي يختلف كل منها عن الآخر. فأياً كان نوع الميكروب الذي يهاجم جســمك فحتماً ســتجد أحد جنود الليمفوسايت قادراً على التعرف عليه والإمســاك به. وهؤلاء الجنود يمكن تقســيمهم إلى ثلاث مجموعــات حســب مظهرهــا الخارجي: ليمفوســايت صغيرة، ومتوســطة، وكبيرة الحجــم. غيــر أن لكل واحدة منهــا مجالاتِ تخصصٍ خاصة بهــا، كما أننا يمكننا تقســيمها إلى مجموعتين من حيث المهام: الخلايا البائية، والخلايا التائية، وذلك حســب عمليــات النضج والتدريب التي تلقتها قبل أن تخــرج على الجبهة. ورغم أن كلتيهمــا قد نشــأتا من خلايــا جذرية في النخاع العظمــي، إلا أن الخلايا التائية قد نضجت في البداية داخل الغدة الثيموثية قبل أن تذهب عبر الدم إلى الأنســجة الليمفاويــة مثل الطحــال والكبد واللوزتين، وتوجد الغــدة الثيموثية داخل الثدي.

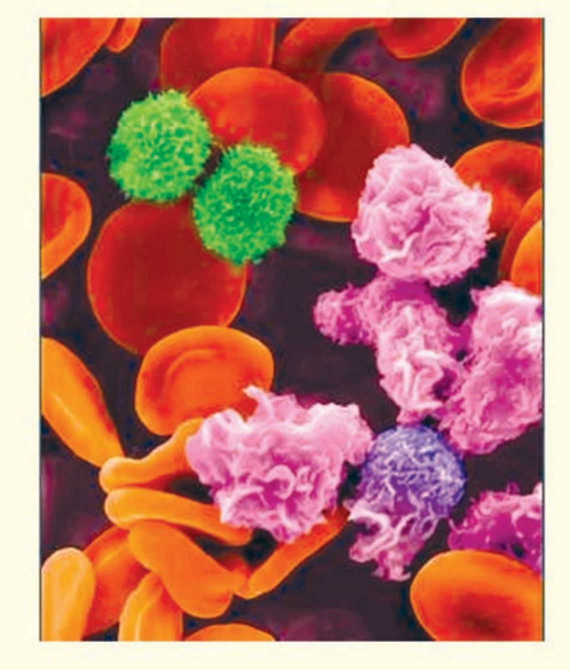
أما الخلايا البائية فتنضج داخل النخاع العظمي، وتتجه مباشــرة إلى اللوزتين، والزائــدة الدوديــة، والطحــال، والأنســجة الليمفاوية الأخــرى. وإذ تنضج الخلايا

إن الخلية التائية المســاعدة التي تستثار عندما تجد جسماً غريباً، تفرز مادة "الليمفوكاين" التي تقــوم بإنتاج أجســام مضــادة للخلايــا البائيــة. ومــن هــذه الإفرازات "الانترلوكسين-٢" الــذي يحفــز الخلايــا التائيــة القاتلة، فتلتصق بالخلايا المصابة بالميكروب أو الفيروس خاصة، ولا تتركها حتــى ترديها قتيلة. والخلايا التائية القاتلة لا ترتبط مباشرة بالأجســام الغريبة، بل تفــرز مادة تؤدي إلى قتل الخلية المصــابة، وذلك بعــد أن تتحد مع الأجســام المضــادة المرتبطة بالخلايا المصابة بالميكروب.



التائية داخل الغدة الثيموثية، فإنها تكتسب صفات مختلفة، وتقوم بمهام متعددة، حيث منها الخلية التائية المساعدة، والخلية التائية القاتلة، وكذلك الخلية التائية المُعيقة. فالخلية التائية المساعدة التي تستثار عندما تجد جسماً غريباً، تفرز مادة "الليمفوكاين" التي تقوم بإنتاج أجسام مضادة للخلايا البائية. ومن هذه الإفرازات (الإنترلوكسين-٢) الذي يحفز الخلايا التائية القاتلة، فتلتصق بالخلايا المصابة بالميكروب أو الفيروس خاصة ولا تتركها حتى ترديها قتيلة. والخلايا التائية القاتلة لا ترتبط مباشرة بالأجسام الغريبة، بل تفرز مادة تؤدي إلى قتل الخلية المصابة، وذلك بعد أن تتحد مع الأجسام المضادة المرتبطة بالخلايا المصابة بالميكروب. ويبلغ متوسط عمر الخلايا التائية من عامين إلى أربعة أعوام، غير أن بعضاً منها قد يزيد عمرها على عشر سنوات.



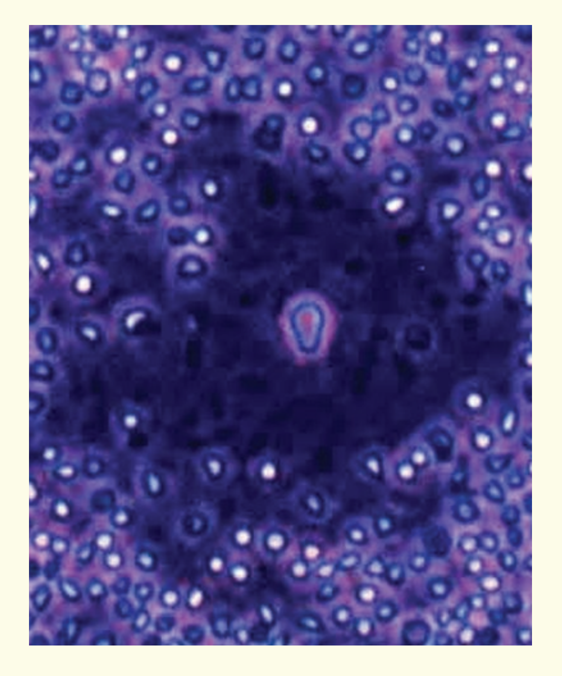


الخلايا التائية والخلايا البائية

وفي أيامنا هذه، أضحى للخلايا التائية جانب سلبي غير مرغوب فيه بسبب هجومها على الأجسام الغريبة. فقد يحدث أن يحتاج الجسد زرعاً لأحد الأعضاء البديلة مثل الكلية أو القلب، فتقوم الخلايا التائية مباشرة بمهاجمة هذا الجسم الغريب، وذلك لأن جنود الخلايا التائية تكون عاجزة عن إدراك حاجة الجسد لهذه الكلية أو القلب الغريب عنه؛ فيحدث ما نعرفه بـ"رفض الجسم للعضو" أو "عدم توافق الأنسجة". فهذه الخلايا مثلما تقوم بمهاجمة الخلايا السرطانية من أجل القضاء عليها، تهاجم أيضاً ذلك العضو الغريب وتحول دون استفادة الجسد منه. ولذلك يبذل علماء المناعة قصارى جهدهم، من أجل التوصل إلى عقاقير جديدة يكون بمقدورها تعطيل هؤلاء الجنود عن ممارسة مهامهم عند الضرورة.

أما الخلايا البائية فعندما تواجه جسماً غريباً يمثل بالنسبة لها حساسية بالغة، فإنها سرعان ما تتكاثر رافعة شعار "في الاتحاد قوة"، وتشكل مجموعة عسكرية من الخلايا التي تشترك معها في السمات نفسها. وتقوم كل خلية داخل هذه المجموعة العسكرية والمعروفة باسم "محصن مناعي-أمينوجلوبيولين" بتكوين جسم مضاد يشل حركة الجسم الغريب. ويستغرق إنتاج الجسم المضاد عدة أيام وذلك إلى أن يتم القضاء على الميكروبات تماماً. وتشتمل الخلايا البائية على خلايا تسمى بخلايا الذاكرة، تعمل على التحفيز من أجل الإكثار من توليد الأجسام المضادة وليس إفرازها. وبذلك تقوم هذه الخلايا تلقائياً عند ظهور أي جسم غريب مرة أخرى، إفراز الجسم المضاد اللازم مرة أخرى.

وهذا ما يفسر إصابتك بالأمراض كثيراً في صغرك، وقلّتها كلما كبرت؛ حيث تقوم هذه الخلايا بالتعرف على الميكروب بمجرد اقتحامه



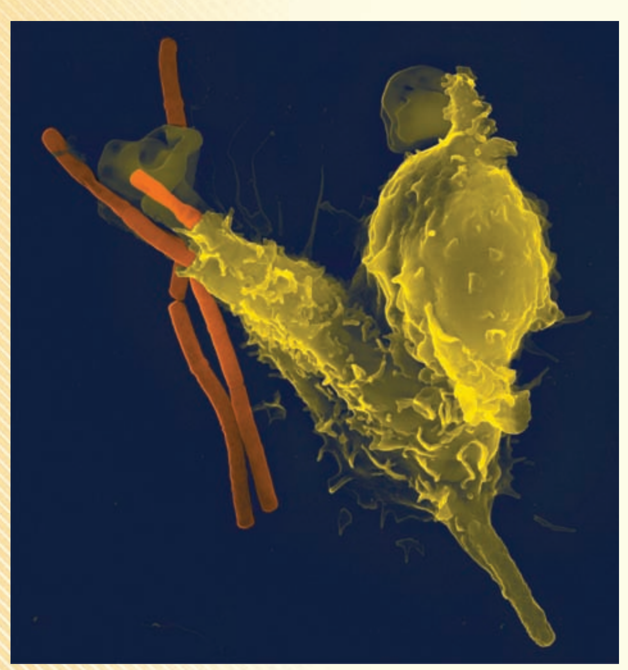
لجسدك، وتبدأ في التعامل معه فوراً. وتحتفظ الذاكرة بسجل الميكروبات فترات محددة. فعلى سبيل المثال، عندما تتعرف خلايا الذاكرة على ميكروب الحصبة مرة واحدة فإنها لا تنساه أبداً بعد ذلك. وعندما يشارف هؤلاء الجنود على الموت، يقومون بتسليم شفرات الميكروبات المختزنة لديهم إلى الجنود الجدد.

عزيزي عبد الله.. انظر كيف أودع الله تعالى بمقتضى رحمته اللامتناهية داخل دمك خلايا الذاكرة؛ وتأمل كيف تقوم هذه الخلايا بتذكر الميكروب الذي رأته قبل أعوام طويلة، ثم تشرع في إنتاج الأسلحة المضادة له. فمن أين لهذه الخلايا التي لا عقل لها ولا مشاعر أن تقوم بهذا؟

العقد الليمفاوية

فيمكنك يا عبد الله أن تشبه العقد الليمفاوية -وهي مراكز إنتاج الليمفوسايت في مناطق معينة- بالمواقع العسكرية ذات الأحجام المختلفة. وقد يتم إنتاج الليمفوسايت في تجمعات الأنسجة الليمفاوية الصغيرة الموجودة تحت الخلايا الطلائية التي تبطن القنوات الهضمية -وهي من أكثر الأماكن عرضة للميكروبات- وكذلك التي تبطن القنوات التنفسية والمثانة.

ويمكن للعقد الليمفاوية الملتهبة بسبب إصابة بكتيرية ما، أن تنمو (١-٢ سم). وفي ظل البنية الليمفاوية التي تحيط بالجسم كله كالشبكة، فإن الليمفوسايت يمكنه أن يصل إلى أي مكان في الجسم أصيب بالميكروب. وبخلاف العقد الليمفاوية المنتشرة على امتداد الأوعية الليمفاوية، فإنه توجد مجموعة عقد ليمفاوية في أماكن محددة مثل القفا، وأعلى الفخذ، وأسفل الإبط. فإنك إذا أصبت بميكروب عبر القنوات التنفسية العليا، فإن الغدد الليمفاوية الموجودة في اللوزتين والعنق، هي التي ستنتفخ أولاً، أما إذا أصبت عبر المجاري البولية، فإن الغدد الموجودة في منطقة أعلى الفخذ هي التي تنتفخ هذه المرة، أما الميكروبات التي تصيب القنوات الهضمية فتجد الليمفوسايت الموجود داخل الزائدة الدودية هو الذي يتصدى لها. ويزعم بعض علماء الطبيعة الذين يجهلون أن الله ﷻ قد خلق كل شيء لحكمة، أن ذلك العضو الذي هو امتداد للأمعاء الغليظة هو "مصران أعور"، وأنه سيتلاشى تماماً في المستقبل!.. أفلا يعلم هؤلاء المساكين أن الله تعالى لم يخلق شيئاً عبثاً أو سدى؟! إن الزائدة الدودية واللوزتين من الأعضاء المفيدة التي تنتج الليمفوسايت في الظروف



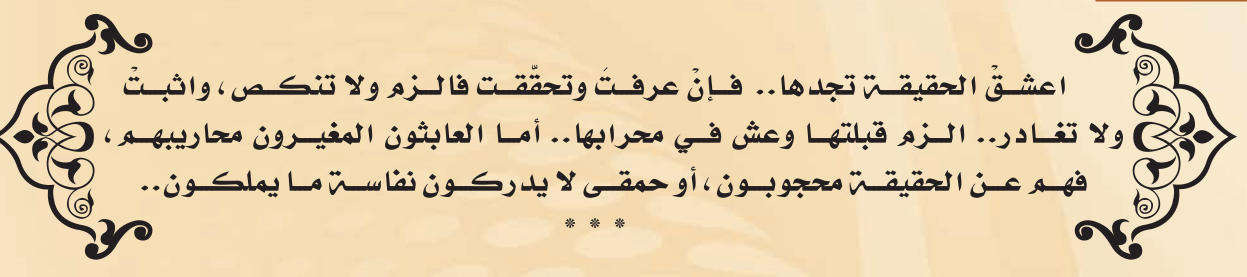
صورة مجهرية إلكترونية لخلية عدلة (باللون الأصفر) تهاجم بكتيريا الحمرة الخبيثة (باللون البرتقالي)

الطبيعية، وليست أعضاءاً زائدة أو عديمة الفائدة. ولهذا فليس من الصحيح استئصالها عندما لا توجد ضرورة لذلك.

وبخلاف جنود النظام المناعي، فإن للجسد طرق حمايةٍ خاصة لدى أعضاء الجسد المختلفة، ولكنها لا تمتلك جنوداً، بل هي تشبه تشكيلات الدفاع المدني. فعلى سبيل المثال، هناك الجلد والأغشية المخاطية التي تبطن الفم والأنف ضد الميكروبات، وكذلك "الأنترفيرون" وهي مادة تنتجها الخلايا ضد الفيروسات، و"الليزوسيزم" وهي مادة مضادة للبكتريا، توجد داخل الدموع والعرق. ولذلك فإن التعرق والبكاء والتمخط ليست أشياء مخجلة، بل هي أنظمة وقائية فطرية وهبها الله ﷻ إليك يا عبد الله لتحفظك من الميكروبات.

فخلاصة الكلام يا عبد الله! إن كل الأمراض التي يصاب بها الإنسان، مردّها إلى الجهل بي وعدم المعرفة اللازمة بمهامي. إن عمليات الكيمياء الحيوية التي يقوم بها الكثير من جنودي لا تزال مجهولة. وعند معرفة هذه العمليات سيكون من الممكن أن يحقق الأطباء شفاءاً نسبياً في مداواة مرضاهم، ولكن لا يغرنك الأمل كثيراً، فلكل أجل كتاب. فأدعوك يا عبد الله إلى ألا تنس أداء حق أعضاء جسدك التي وهبها الله إياها، وأن تحييها في الحلال وتشكر بها الإله، وتسبح بها الخالق الوهاب. ■

(*) جامعة ٩ أيلول / تركيا. الترجمة عن التركية: د. طارق عبد الجليل.



اعشقْ الحقيقةَ تجدها.. فإنْ عرفتَ وتحقّقتَ فالزمْ ولا تنكص، واثبتْ ولا تغادر.. الزمْ قبلتها وعش في محرابها.. أما العابثون المغيرون محاريبهم، فهم عن الحقيقة محجوبون، أو حمقى لا يدركون نفاسة ما يملكون..

* * *

صفات الله الحسنى[1]
والحالة البشرية المثلى

أ.د. عماد الدين خليل *

قلت في نفسي وأنا أتأمل في دلالة صفات الله ﷻ وأسمائه الحسنى؛ الألوهية، الربوبية، الوحدانية، الحاكمية، العلم، الخلق، القدرة، الحكمة، العزة، القوة، الرحمة، القهر، الإرادة، الإحاطة، الحضور الأبدي الدائم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم...

إن الإنسان المسلم يجد نفسه إزاء إلهٍ واحد خالق عالم قدير حكيم رحيم عزيز قوي قاهر مريد محيط... لا تأخذه سنة ولا نوم. فيطمئن إلى أنه يستند في توجهه، إلى إلهٍ يمنحه بأسمائه وصفاته تلك الرضا والقناعة والاطمئنان والتوحّد واليقين... تلك الحالة التي تنعكس على مكوناته العقلية والروحية والحسّية والوجدانية، فتضعها في أكثر صيغها توحداً وانسجاماً وتوافقاً، فيما يمكنها -بالتالي- من تقديم المزيد من العطاء وفق وتائره العليا.

لقد أريد للإنسان -بفضل من الله ومنّة- أن يتحقق بالقدر الذي يلائمه من هذه الصفات التي تبلغ مثلها الأعلى عند الله ﷻ. وحينذاك ستغدو حياته ساحة حقة للمهمة التي خُلق من أجلها وهي عبادة الله ﷻ، ليس بالمفهوم الطقوسي المحدود، ولكن بالمنظور الحضاري للعبادة الإسلامية التي تجعل الأرض كلها مسجداً كبيراً، وتجعل كل ما يبنى فيها ويخفق في جنباتها ويتحقق في ساحاتها عبادة يتقرب بها الإنسان إلى الله ﷻ.

فلو أن الإنسان -على سبيل المثال- تحقق بالقدر الذي يلائمه؛ من العلم والحكمة والقوة والرحمة... لأصبح -بالضرورة- الإنسان النموذج الذي تتوازن في مكوناته وفاعليته على السواء قيمُ العلم والحكمة والقوة والرحمة... فتمنحه ثمرتين؛ إحداهما: الشخصية السوية المتوازنة



والمتوحدة، والأخرى: القدرة الفائقة على الإبداع والإنجاز.

والحالة نفسها تنسحب على الجماعات؛ فإن الأمة التي تملك القوّة وتضبطها بالحكمة، وتبلغ شأواً بعيداً في ميدان العلم ولكنها تحيطه بالرحمة، ستكون -بحق- الأمة الوسط، الأمة المتوازنة التي تؤتي ثمارها في اثنتين: السعادة والسيادة. ومن ثم منح خيرها للبشرية جميعاً فيما يمكنها من أن تتعايش ويقبل أحدها الآخر، وتمضي عجلة الحياة الدنيا كما أراد الله ﷻ لها أن تكون: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(البقرة:١٤٣)، وتستحق ما وصفه الله بها في كتابه الكريم: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ﴾(آل عمران:١١٠).

إن مفتاح كل المشاكل في الحياة البشرية -الفردية والجماعية- والإجابةَ على كل سؤال، وتحقيقَ المطلوب في كل معضلة، إنما يتحقق في تنزيل صفات الله ﷻ على الخبرة البشرية في مستوييها الفردي والجماعي، وبالنسبة التي تلائم الإنسان. وحينذاك ستتحقق حركة تصاعدية إلى أعلى صوب الأفضل والأحسنِ. فرديًّا عبر رحلة الإسلام والإيمان والتقوى والإحسان، وجماعيًّا عبر ما سمّاه المفكر الفرنسي المسلم "رجاء غارودي" في كتابه "وعود الإسلام": "التسامي".

وليس ثمة أمة في الأرض غير الأمة الإسلامية، وليس ثمة إنسان في العالم غير الإنسان المسلم، أعطيا هذه المفاتيح المدهشة للتحقق بالسوية العليا والتحرك صوب المثل الأعلى.

وبخلاف ذلك لنتخيّل كيف ستكون الحال لو أن مجموعة من الناس أو المواطنين عاشوا في بيئة يتنازع فيها الحاكمون السلطة وهم يملكون قوى متكافئة، وينام فيها الحاكم أو يغيب حيناً بعد حين عن الرقابة الدائمة، ويظلم فيها السلطان دون معايير عادلة، ويتساهل بأكثر مما يجب فيطغى القوي على الضعيف، وتتعدد فيها مصادر القيادة والتشريع فيتمزق الإنسان.. كيف سيكون الحال؟! ■

(*) كلية الآداب، جامعة الموصل / العراق.

حراء
مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com

نور الحق

يا باحثًا عن النور!
إلى السلالم لا تنظر،
وبتهافتها لا تتعلَّلْ...
تَخَطَّ السلالم كُلَّها،
واعلُ عليها،
ثم ارتفعْ...
فللحق نور؛
بأذياله تمسَّك،
وإلى سمائه ليكن سموُّك...
فكل ظلمات الأرض،
لا تحجب نور الحق،
إذا كان القلب مضيئًا،
والروح مستقيمًا..!

* * *



ممتحَن أنتَ، فأبنْ عن معدن قدراتك وخزين طاقاتك، فقيمتك بقدر النجاح الذي تحرزه، والخدمة التي تؤديها لنجاح دعوتك، وبقدر تمسكك بالخطة المحكمة بمراحلها كلها..

* * *

الكنز المخفي

مرام الهاشمي *

في البدء كان الكنز مخفياً، ثم أرشدك أحدهم إلى الكنز. ترى ما هو شعورك تجاه من دلّك على هذا الكنز؟! هل تحبه؟ هل تشكره؟ وماذا لو كان هذا الكنز هو الله؟! ماذا لو كان دليلك إلى الله هو الله؟!

يقول الله عزّ وجلّ في كتابه العظيم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾(الأعراف:١٧٢).

لقد شاء الله تعالى أن يخلق معجزاته؛ من العدم إلى الدخان إلى الماء إلى بلايين النجوم إلى قطعة الصلصال إلى الخلية الحية، إلى مخلوقٍ يكتشف الكون ويبحث في السماء ويسعى لعطاء خالقه.

أي قدرة من الله، أي حب للإنسان، أي عظمة، أي عطاء، أي إحسان، أي حنان!..

مـا أكرمه من إلهٍ وأرحمه... غمرنـا بالودّ والدلال قبل أن تهدهدنا أمواج مشيئته إلى ضفاف الوجود. ولم يتوقف كرمه عند هذا الحد؛ إذ لا شـواطئ لبحار جوده وعطائه. فهو الذي دبّر أمرنا في ظلمات الأحشـاء، وتولانا بالرعاية واللطف بعد الإخـراج، بل إنه يدثرنا بعنايته وفضله في الصغر والكبر، قبل الوجود وأثناء الوجود وبعد الوجود.

انظر إلى ما يتلألأ في وجه الكائنات من الإحسان الإلهي، ومـا نُقش علـى جبينها مـن الرحمة، تجدهـا كعنقـودٍ نضيد بحبّات النعم، وقلادة منظومة بلآلئ المنن: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ اللهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾(النحل:١٨).

صدقـتَ يـا عظيـم... يـا مـن عطـاؤه لا ينفك عنـا لحظة واحدة... فواعجباً لكبير حبك يا أيها الملك!

وهـل الحـب إلا عطاء، وأنت وحـدك مالك العطـاء، أما نحن عبيدك فلا نملك من معنى الحب سـوى اسـمك؛ إذ لو أعطينـاك وقتنـا، فالوقت ملكٌ لك أصـلاً، وإن قدّمنا كل مالنا في سـبيلك، فالمال وديعة منك لنا، وإن مزقنا أجسادنا شظايا جهـاداً في سـبيلك، فأجسـادنا ملـك لك، بـل إن كل طاعاتنا وقرباتنـا هدايـا هابطة منك إلينـا، ثم إنها عائـدة إلينا بفضلك وكرمك، فلا حول ولا قوة لنا إلا بك، ولا توفيق إلا منك.

ربّـاه... أوَبعـد أن تراكمـت مننـك علينا تقـول في كتابك الحق: ﴿فَإِنَّ اللهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾(البقرة:١٥٨).

أتشـكرنا على ما أنعمت به علينا؟! أتأمرنا بما فيه صلاحنا ثم تكافئنا على ذلك؟!

سـبحانك... مـا قدرنـاك حـق قـدرك، وما شـكرناك حق شـكرك، ومـا عبدنـاك حـق عبادتـك: ﴿وَمَـا قَـدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾(الأنعام:٩١). أسـكرتْنا نعمك التـي أغدقتَها علينا، وغرقْنا بين سحب عطاياك الجزيلة.

وحُجبت كثرة من الناس بالصور عن المصوّر، فبات المرء عبد "النِّعم" لا عبد "المُنعِم". منهم من وقع في رقّ النفس فكان عبـد نفسـه، ومنهم من أسـرته الدنيا فكان عبـد الدنيا، ومنهم مـن أفقـده الهوى عقله فبـات عبد الهوى... استأنسـوا بالنعم الوافدة من السماء، فشُغِلوا بها عن صاحبها وواهبها ومانحها ومعطيهـا، تعلّقوا بها بدل تجنيدها وتذليلها لمرضاتك، ركنوا إليها ركون المخلّد ناسين: ﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى﴾(النجم:٤٢).

إلهـي! إن ذاك الـذي بين أضلعي يخفق بشـدة... فبالرغم من أنه يحمل بحراً عميقاً من الحب والشوق لك وحدك دون سـواك، إلا أن رمالـه ترتعـش حيـاءً منك وخشـية. أتراه ممن شُغل عنك بنعمك؟.. وماذا عساه أن يجيبك غداً إن سألته: ﴿مَـا غَـرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ۞ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَـوَّاكَ فَعَدَلَكَ ۞ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾(الانفطار:٦-٨). أيكون جزاء ربك على تكريمه إياك وتسـخير الكون كله لأمنك وعيشك وراحتك أن تتناسى عظيم حقه عليك؟!

﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾(سبأ:١٣).آهٍ يا خالقي من هذه الآيـة آآه. لا أملـك إلا الانخراط في بكاء مريـر كلمّا قرأتها. أشعر بالاختناق، وقلبي يكاد يمزق أحشائي من شدة ما يلاقيه من الحياء.

وا حيائـي منـك يـا مـولاي... أنقابـل عطـاءك بالجحود، وحبـك بالصـدود! وكيـف تسـتوي هـذه المعادلـة المحيـرة للعقول: ﴿فَإِنَّ اللهَ شَـاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ وهو الغني المتعال! ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ وهم الفقراء المحتاجون! أكاد أقع مغشيًّا عليّ لعظم هذا الأمر وهوْل وقعه عليّ، أولست من علمنا في كتابك الكريم: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ﴾(الرحمن:٦٠).

فأي نكران منا يا إلهي أي نكران! ولمن؟ للرحمن! أيا قيّوم السـماوات والأرض، ويا مالك الكون كله، إن شـئت سلبتني هذه النعم كلها، وتركتني في أحلك ظروف الشدة والبلاء.

وإن شـئت أعنتني على شكرك، ووفقتني لنيل هذا الشرف العظيـم. فيـا ذا المـنّ والجود والعطاء والإحسـان، أقسـمتُ عليـك بكرمـك، إلا جعلتني من أكثر عبادك لك شـكراً، ومن أشـدّهم لك حباً، ومن أشـبه الناس بحبيبـك محمد صلى الله عليه وعلى آله وسـلم، عبدك الشـكور القائل: "أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً" (رواه البخاري).

فيـا سـيدي أُشـهدك أني اتخذتُ هـذه العبارة شـعاراً لي، وأسـألك بكرمك أن توفقني للعمل بها كما وفقت المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، فأكون من أفضل عبادك الشاكرين. ■

(*) أديبة إماراتية.

الجمال في الكون

أ.د. مأمون فريز جرار *

هو الحسنُ عنوان هذا الوجود
فسَرّح عيونك فيه طويلا

وقف وتأمّل مجالي الجمال
تجد كل ما في الوجود جميلا

ألم ترَ للفجر في صحوه
يشقّ الظلام قليلا.. قليلا

وينشر في الكون لون النهار
ويزرع في الصمت صوتا جليلا

يبث الحياة ويحيي الموات
ويقرع للنائمين الطبولا

فتنبعث الطير من عُشها
ترتل لله لحنا عليلا

تنبه في الروض شوق الحياة
وتوقظ وردا أطال المقيلا

فينشر في النسمات شذى
يرفّ إلى النائمين رسولا

هو الحسن يدعو الورى للفضاء
فشقوا الستور وفكّوا الكبولا

لمن خلق الله حسن الشروق
وأرسل فيه نسيما بَليلا

وبث على الورد قطر الندى
يروق العيون ويشفي الغليلا

تأمل دقائق حسن الوجود
بلونٍ على الله كان دليلا

ففي الزهر والورد لون بديع
يشوق العيون ويسبي العقولا

حدائق في صنعها بهجة
وآيات لون تنير السبيلا

هو الله أبدع هذا الوجود
فوشّى الجبال وحلّى السهولا

ومن كل لون أباح الغيوم
وأشرع للناهلين الأصيلا

كتاب جميل هو الكون فأقرأ
صحائف منه.. ورتله قيلا

وخذ من جمال الوجود صراطا
تحاذر عن دربه أن تميلا

فإن الجمال سبيل النجاة
ومن فارق الحسن ضلَّ السبيلا

(*) كاتب وأديب أردني.

دنيـاك لا تنسـها، وواجباتـك فيهـا لا تتركها، ولكن إيـاك أن تهمل دواخلـك أو تتناسـى إعمار قلبـك وإنهـاض روحـك والارتفـاع بهـا إلـى أعلـى منـازل القرب، واجهـد أن تكون عطـرا يتعالى، يشـارك الملائكـة فـي تسـابيحها وفـي ذكرهـا وتحميدهـا..

* * *

الثقافة السننية وأسسها الإيمانية

أ.د. عمار جيدل *

السنن الإلهيـة فـي عقيدة المسـلم جـزء من رؤية كونية شـاملة متكاملة، مدارها ومحورها الرئيـس "التوحيـد"، المؤسـس لرؤيـة كونيـة متميـزة، تعرف بالرؤية التوحيدية للعالم، رؤية شـاملة لجميع جزئيات الكون.

إن الثقافـة السـننية صناعـة معرفيـة، تتأسـس علـى بحث ودراسـة موضوعيـة ثـم التحقق العملـي، فضلاً عـن العلمي (النظري) بالسـنن في مجالات الحياة كلها، صعوداً ونكوصاً، في الأمور الصغيرة كالأمور الكبيرة سـواء بسـواء، في الحياة الفرديـة والحيـاة الاجتماعية والمجتمعية، بـل تتعداها لتكون ثابتة في كل مجالات الحياة، فلا تعزب عنها الأمم والشعوب، بصـرف النظـر عـن تديّنهـم أو عـدم تديّنهم، مـع ملاحظة ما للإيمـان في بعث الفعالية بأبعادها الإنسـانية في حياة المؤمن الفردية والاجتماعية.

نتوقف في هذه الحلقة عند الأساس الإيماني لثقافة السننية، لما له من دور كبير في التفكير في بعث الفعالية الإيمانية، فضلاً عن السعي العملي، للتحقق بها ثم تحقيقها بالفعل في شعاب الحياة، فهل يُرى في الكون بعناصره المادية أو المعنوية ما يبعث على قبول فوضوية سير الكون، فصغير عناصره ككبيرها في الدلالة على انضباطها بقوانين الله ﷻ المستودعة فيها.

وإذا أراد الإنسان الانسجام مع الكون، فليس بحاجة غير الانضباط بقانون نفسه (الفطرة) التي استودعها الله ﷻ فيه من خلال الانضباط بقانون الله ﷻ المسطور. وبهذا تكون الصورة متكاملة متناغمة يتوافق فيها مستودع الفطرة مع الكون المنظور والكتاب المسطور، ذلك أنها تصدر عن قرار واحد وقانون واحد؛ فعندما نوفق في العمل بالقانون المسطور نأتي الكون المنظور بما أمر خالقه أن نأتيه به، وهذا مبعث فعالية الثقافة السننية وتأكيد على أساسها المعرفي الإيماني. فخذ مثلا لفظ "التسخير" الوارد في الذكر الحكيم، وتَتَبّع متعلقاته في القرآن الكريم، فتجد أن مكونات الكون (الشمس، القمر، الفلك، البحر، الأنهار، الليل والنهار، السموات والأرض وما فيهما، الجبال، الطير، الرياح...) ووفق صريح القرآن الكريم مسخّرات بالأمر التكويني الذي جعلها الله ﷻ عليه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلاَ هُدًى وَلاَ كِتَابٍ مُنِيرٍ﴾(لقمان:٢٠)، والمتحقق بلفظ التسخير، لا يمكن أن يقدّس أي مظهر من مظاهر الكون من جهة، ومن جهة أخرى يعمل على التعامل مع الكون بثقافة سننية، تفرض أن يستثمر التسخير الإلهي للكون، فيدعى إلى اكتشاف قوانين سيرها والإفادة منه، في حياته المادية والمعنوية. لهذا كان الإيمان القلبي المؤسس على القناعة العقلية، أساساً لبعث فعالية الثقافة السننية.

محور السنن الإلهية "التوحيد"

مبعث فعالية الثقافة السننية في المتحقق بها الإيمان، بمعنى الثقة واليقين بأن السنن ليست إلا قوانين الله ﷻ في الخلق. ذلك أن السنن الإلهية في عقيدة المسلم جزء من رؤية كونية شاملة متكاملة، مدارها ومحورها الرئيس؛ "التوحيد" المؤسس لرؤية كونية متميّزة، تعرف بالرؤية التوحيدية للعالم، رؤية شاملة لجميع جزئيات الكون، تنخرط جميعها في إطار متكامل ورؤية شاملة متناغمة، يحكمها التوحيد مدار العقائد والأخلاق والشرائع كلها، رؤية لا تنافر بين عناصرها، تجعل الكون بعناصره المادية والمعنوية أشبه بمحرك تنبعث عنه نتائج متناغمة وتصرفات متناسقة تؤدي دوراً وظيفيًا يقصد خدمة الإنسان، لهذا تراه يستوعب حاجاته المادية؛ ما ينفع الناس في معاشهم المادي، وحاجاته المعنوية؛ ما ينفع الناس في معاشهم المعنوي، من نحو الجمال والنظر إلى تجلي الجلال، وإشباع حاجة الأرواح والقلوب إلى الراحة الروحية.. فضلاً عن أن الكون مصدر العطايا، فهو إضافة إلى ذلك مرايا التوحيد، حتى صارت عناصر الكون شهوداً كثيرة على التعريف بالله ﷻ من خلال نظامه المتجلي في السنن، والتي نحن بصدد بيان أهميتها الإيمانية في حياة المسلم.

نخلص إلى أن الكون يسير وفق سنن مضبوطة لا تُحابي أحداً على حساب أحد، ذلك أنها ربانية المنشأ والمنبت، ولهذه الميزة تحررت من أن تكون ضد فلان أو علان من الناس، كما تحررت في الوقت نفسه من أن تتهم بالتحيّز لبعض البشر على حساب بعض، بل هي مستقلة عن البشر في أصل وضعها وفي استدرار نتائجها والانتفاع بها في شعاب الحياة. فالربانية وإن كانت أساساً إيمانياً، فإنها مبعث العمل العلمي على تعقلها في سيرها وكيفيات استثمار خيراتها، ودعوة صريحة إلى العمل بها لمن رَغب في النجاح في الدنيا والفلاح في الآخرة.

السنن الإلهية ربانية

سنة الله ﷻ، قانونه في تقدير الأشياء إيجاداً وبقاءاً ومصيراً، فهو موجدها وهو حامي بقاءها وإليه يعود مصيرها. وقد عبّر القرآن الكريم عن تلك الحقيقة بعنوان "سنة الله": ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَحْوِيلاً﴾(فاطر:٤٣)، بمعنى أن واضعها هو الله ﷻ، وهو ربها مُمِدها بعناصر الوجود والديمومة إضافة إلى امتلاك مصيرها، وبالتالي لا تؤتي ثمارها إلا إذا جئتها بما يوافق سنن الله فيها، بحيث تنال منها بقدر انسجامك مع قانون سيرها، ولا مطمع في نيل نتائج بغير معرفة تلك القوانين ثم تمثلها بالفعل في النظر والتطبيق.

وواضح من عنوانها "سنة الله" أنها من وضع الله ﷻ، ليس للبشر فيها أكثر من اكتشافها، والنسج على منوالها،

لاستدرار خير الكون، وتلافي ما كان منها منتِجاً للشر دفعاً لشر أو ضرر.

السنة الإلهية هي الخلق، وهي صورة من صوره، ومنه يستفاد دليل النظام على المنظم (دليل الخلق أو دليل الكوسموس)، والسنة من حيث كونها كذلك، تقتضي التكرر، وهي بهذه الميزة قابلة للاكتشاف، ذلك أنها مُيسّرة الكشف ثم الاستثمار. يشهد لهذا منطوق القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُروا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾(آل عمران ١٣٧).

الانضباط وفق قواعد

السنّة تقتضي الانضباط وفق قواعد، يدل على ذلك تكررها الدال بنفسه على انضباطها بقواعد رئيسة، لا تحيد عنها، في وضعها العادي المألوف، يسير وفقها الكون ووفقها أيضا يحافظ على وجوده وبقائه، مما يسمح لحضارتها المؤسسة بالتطور المقصود، تقوده سنن ثابتة، يسعى المسلم إلى تمثلها والانضباط بها في تصرفاته.

قال جمال الدين القاسمي في تفسير قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً﴾(الفتح:٢٣)، أي "مضت في كفار الأمم السالفة مع مؤمنيها، ولن تجد لسنة الله ﷻ تحويلاً، أي تغييراً. واستشهد في هذا المقام بقول ابن جرير: "بل ذلك دائم، للإحسان جزاؤه من الإحسان، وللإساءة والكفر العقاب والنكال".

الانضباط في سير السنن، يفرض موضوعيًّا النسج على منواله، استدراراً لخيرها وانتفاعاً بالسنن الآفكة، تلك التي تكون نهايتها الخسران في الدنيا والآخرة. وهي من هذه الزاوية قابلة للاستثمار على وفق جعلها، بشرط تحويل معرفتها إلى موقف اجتماعي وحضاري في مباشرة التغيير.

رغم سير الكون على السنن المضبوطة؛ فإن من مشمول تلك السنن أن تُخرق تلك السنن تأييداً لنبي. فليس غريباً أن يُظهر الله ﷻ المعجزات على أيدي الأنبياء، تأييداً لهم ودليلاً على اتصالهم بالملإ الأعلى. لهذا نؤكد أن من السنن بمفهومها العام؛ المعجزات المندرجة بدورها في عادة الله ﷻ في تأييد الله أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام، بل وفي تأييد عباده الصالحين العاملين، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾(محمد:٧).

من منطلق خاصية ربانية السنن، أَبعد المسلمُ صفة التقديس عن الكون ومكوناته، ولهذا كان الكون في عالمه المادي والمعنوي قابلاً للاكتشاف والمعرفة عند المسلم، ذلك أنه منضبط بقوانينِ خالقه، وهو المعبّر عنه بمنطلق التوحيد المؤسس النظري لفكرة التسخير. وبهذا يتأكد عندنا الأساس الإيماني للثقافة السننية، وهو مبعث التحقق بالسنن علميًّا والعمل بمقتضاها تطبيقيًّا، وتيسيراً لنفث روح الفعالية في تصرفاتنا. ■

السنّة تقتضي الانضباط وفق قواعد، يدل على ذلك تكررها الدال بنفسه على انضباطها بقواعد رئيسة، لا تحيد عنها، في وضعها العادي المألوف، يسير وفقها الكون ووفقها أيضا يحافظ على وجوده وبقائه، مما يسمح لحضارتها المؤسسة بالتطور المقصود، تقوده سنن ثابتة، يسعى المسلم إلى تمثلها والانضباط بها في تصرفاته.

(*) كلية العلوم الإسلامية، جامعة الجزائر / الجزائر.

أصول الرؤية الإسلامية للعالم والعلاقة مع الآخر

أ.د. إبراهيم البيومي غانم *



تنبع الرؤية الإسلامية للعالم من أصل عقَدي إيماني هو "التوحيد"؛ الذي يعني الإقرار بوجود الله وبوحدانيته ﷻ، وأنه هو خالق هذا الكون ومالكه الحقيقي الوحيد ولا شريك له، وهو الذي خلق الإنسان وجعله خليفة في الأرض ليعمرها وليتصرف فيها طبقاً لأوامره ﷻ وامتثالاً لإرادته سبحانه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾(الأنعام:١٨)، ويتضمن الإقرار بوحدانية الله ﷻ، كمال العقيدة من جهتي الربوبية (الخلق والتربية) والألوهية (العبادة).

ولكن كيف تؤثر هذه العقيدة التوحيدية على رؤية العالم في المنظور الإسلامي؟

إن تأثيرها يبدو من خلال هيمنة مبدأ "الوحدة" (Unity) والوئام على الرؤية الإسلامية للعالم، ومن ثم نبذ التجزئة والصراع، مع عدم التواني عن ردع أو منع الاعتداء من المحيط الخارجي. ولا يعبر مبدأ الوحدة عن مجرد فكرة نظرية أو فلسفية مثالية (Utopia)، وإنما هو متجذر اجتماعيًا في وحدة الجنس البشري، وروحيًا في وحدة الدين ورسالته من حيث مصدرها وغايتها معاً، وبيان ذلك كالآتي:

وحدة الجنس البشري

قرر الإسلام وحدة الجنس والنسب للبشر جميعاً، فالناس لآدم ﵇، "ولا فضل لعربي على عجمي ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى" (رواه البخاري). وحكمة التقسيم إلى شعوب وقبائل إنما هي التعارف لا التخالف، والتعاون لا التخاذل، والتفاضل بالتقوى والأعمال الصالحة التي تعود بالخير على المجموع والأفراد، والله ﷻ رب الجميع يرقب هذه الأخوة ويرعاها، هو يطالب عباده جميعاً بتقريرها ورعايتها، والشعور بحقوقها والسير في حدودها.

ويعلن القرآن الكريم هذه الحقيقة بمعانيها جميعاً في وضوح فيقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(النساء:١)، ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ

وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾(الحجرات:١٣)، ويقول النبي الأكرم ﷺ في أشهر خطبة له في حجة الوداع: "إن الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهلية وتعظمها بالآباء والأجداد، الناس لآدم وآدم من تراب" (رواه البخاري)، ويقول: "ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية" (رواه أبو داود).

وبهذا التقرير نفى الإسلام أية شرعية لكل دعاوى التعصب للأجناس أو الألوان أو الأعراق، وعقيدة الإسلام وحدها هي التي تقرر على هذا النحو -بوضوح وقطعية- وحدة الجنس البشري في إطار التنوع البنَّاء.

وحدة الدين

قرر الإسلام وحدة "الدين" في أصوله العامة، وأكد على أن شريعة الله ﷻ للناس تقوم على قواعد ثابتة من الإيمان والعمل الصالح والإخاء، وأن الأنبياء جميعاً مبلّغون عن الله ﷻ، وأن الكتب السماوية جميعاً من وحيه، وأن المؤمنين جميعاً -في أية أمة كانوا- هم عباده الصادقون الفائزون في الدنيا والآخرة، وأن الفرقة في الدين والخصومة باسمه إثم يتنافى مع أصوله وقواعده، ويتناقض مع غايته ومقاصده.

وإن واجب البشرية أن تتدين، وأن تتوحد بالدين، وأن هذا الدين الموحد هو الدين القيم وفطرة الله التي فطر الناس عليها. وفي ذلك يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(الشورى:١٣)، ويقول الله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(الشورى:١٥)، وفي قول للنبي ﷺ تصوير بديع لهذا المعنى حيث يقول: "مثلي ومثل الأنبياء قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون هلا وُضعت هذه اللبنة! فأنا تلكم اللبنة وأنا خاتم النبيين" (رواه البخاري).

وهكذا نرى الإسلام يقدم للإنسانية مبدأ "وحدة الدين"، ويدعو إليها في وقت كانت الدنيا تشتعل بنيران الأحقاد الدينية، وتضطرم بسعير الخصومات المذهبية... وفي هذا المعترك الروحي المتأزم بفعل الخصومات والجهالات، يطلع القرآن على الناس بهذه الدعوة الجديدة؛ دعوة التآخي في الدين والاجتماع على أصوله الحقة، والإيمان به كوحدة ربانية؛ إن اختلفت فيها الفروع بحسب الأزمان، فقد اتفقت فيها الأصول



إن الأصول المعرفية للرؤية الإسلامية للعالم، تنفي كل مصادر الفرقة والحقد والخصومة والنزاع بين الناس من أي دين كانوا، ولم تقف عند حدود التمهيد النظري أو الخطاب العاطفي، بل فتحت باب التعاون العملي والتواصل الفعلي والعمل المشترك والتعايش السلمي.

الخالدة الباقية، لأنها من الفطرة التي لا تقوم إنسانية الناس إلا عليها.

ونظراً للأهمية البالغة لمبدأ وحدة الدين ودورها في بناء الرؤية الإسلامية للعالم، وانعكاسها على منظومة القيم العليا الحاكمة للعلاقات بين الأمم والشعوب من منظور هذه الرؤية، فقد يكون من المفيد الاستطراد قليلاً في بيان الأسس المعرفية العقدية لهذه الوحدة، وأهم مجالاتها التطبيقية المفترضة في إطار العلاقة مع الآخر غير المسلم.

إن آيات القرآن تنص صراحة على وحدة الدين، وتأمر النبي ﷺ وأصحابه ﵃ بأن يكونوا أول المؤمنين بهذه الوحدة. فالمسلم يجب عليه أن يؤمن بكل نبي سبق، ويصدق بكل كتاب نزل، ويحترم كل شريعة مضت، ويثني بالخير على كل أمة من المؤمنين خلت، قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(البقرة:١٣٦)، ثم يقفى على ذلك بأن هذه هي سبيل الوحدة، وأن أهل الأديان الأخرى إذا آمنوا كهذا الإيمان فقد اهتدوا إليها، وإن لم يؤمنوا به فسيظلون في شقاق وخلاف، وأن أمرهم بعد ذلك إلى الله فيقول: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾(البقرة:١٣٧).

دعم الوحدة الدينية

وثمة أساسان قويان لدعم الوحدة الدينية، وإزالة كل شبهة يمكن أن تؤدي إلى جعل تعدد الرسالات السماوية مصدراً للصراع أو الحرب باسم الدين. وقد نص القرآن على هذين الأساسين كالآتي:

أولاً: إن ملة إبراهيم ؑ هي أساس للدين، ومرجع الأنبياء الثلاثة الذين عُرفت رسالتهم وهم: ساداتنا موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: تجريد الدين من أغراض البشر وأهوائهم، والارتفاع بنسبته إلى الله ﷻ وحده.

نقرأ عن ذلك في سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(البقرة:١٣٠) إلى آخر آية: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(البقرة:١٤١)، ونقرأ في آيات أخرى من سورة الأحزاب (آية:٦٩)، ومن سورة النساء (آية:٧٥)، ومن سورة آل عمران (آية:٤٦)، ومن سورة المائدة (آية:٤٤، وآية:٧٥)، وفي آيات أخرى من سور أخرى حيث نجدها تثني على الأنبياء جميعاً، وتقول إن التوراة والإنجيل فيهما هدى ونور وموعظة للمؤمنين.

علاقة المسلمين مع غيرهم

ومن تلك الآيات ومن غيرها نخرج بنتيجتين تطبيقيتين في مجال علاقة المسلمين مع غيرهم هما:

١- إن التعامل بين المسلمين وغيرهم من أهل العقائد والأديان إنما يقوم على أساس المصلحة الاجتماعية والخير الإنساني، يقول الله تعالى: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(الممتحنة:٨).

٢- إن الحوار أو الجدال بالتي هي أحسن -وليس الحرب- هي الوسيلة المثلى للتفاهم بشأن قضايا الإيمان والعقيدة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾(العنكبوت:٤٦)، وإذا كان الحوار هو الوسيلة المعتمدة في مثل هذه القضايا على خطورتها وأهميتها، فإنه يكون أولى بالتطبيق فيما دونها من القضايا والمشكلات، وأولى أن يكون مبدءاً عاماً من مبادئ معالجة معضلات العلاقات الإنسانية بما فيها العلاقات الدولية.

ومما سبق يتضح أن الأصول المعرفية للرؤية الإسلامية للعالم، تنفي كل مصادر الفرقة والحقد والخصومة والنزاع بين الناس من أي دين كانوا، ولم تقف عند حدود التمهيد النظري أو الخطاب العاطفي، بل فتحت باب التعاون العملي

حراء
مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com

والتواصل الفعلي والعمل المشترك والتعايش السلمي... والأمثلة على ذلك كثيرة؛ منها -مثلاً- ما يشير إليه قول الله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾(المائدة:٥).

أصالة السلام الإسلامي

إن مقتضى الرؤية الإسلامية للعالم -التي تقوم كما أسلفنا على أساس عقيدة التوحيد الديني، ووحدة البشرية- هو أن تكون رسالة الإسلام عالمية: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾(الأنبياء:١٠٧)، وليست قطرية أو إقليمية أو عرقية.. وأن يكون "السلام" مركباً هيكليًّا في صلب البناء العالمي الذي ينشده الإسلام، وليس أمراً طارئاً أو استثنائيًّا. وبالتالي فإن الحرب هي الاستثناء، والصراع هو الخروج على القاعدة.

ونؤكد -مرة أخرى- على بنيوية فكرة السلام وأصالتها في الرؤية الإسلامية على كافة المستويات؛ ابتداءاً من الفرد، مروراً بالأسرة والجماعة والمجتمع والدولة، وصولاً إلى النطاق العالمي بأسره. إنها رؤية متكاملة يدعو الإسلامُ للنظر من خلالها إلى العالم باعتباره كلاًّ متناسقاً. والسلام قرين التناسق، ولا تأتي الحرب إلا بالخروج من هذا التناسق بالبغي والظلم، أو بالفساد والتنازع، فترده الحرب الموقوتة إلى السلام الدائم من جديد.

وليس يكفي لتحقيق هذا السلام العالمي الذي يدعو إليه الإسلام أن تكون مثاليته معلقة في السماء، ولا أن يكون التزام المسلمين التزاماً دينيًّا ومصلحيًّا، بل لابد من معرفة طرق تحقيقها على الأرض، وفي حياة الناس والمجتمع الدولي. وهذه الطرق تخضع للاجتهاد حسب اختلاف ظروف الزمان والمكان، ولكنها في كل الأحوال يجب أن تكون منضبطة في إطار منظومة من القيم والمبادئ المعيارية المجردة التي تكون حاكمة لها وليست محكومة بها، وأهم هذه المبادئ هي: العدالة، والمساواة في الأخوة الإنسانية، والحرية، والوفاء بالعهود، والتعاون بين بني الإنسان جميعاً. ■

(*) أستاذ العلوم السياسية، جامعة القاهرة / مصر.

نُهَير الأفراح

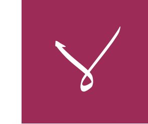
نُهَير جرى، في قفرٍ سَرَى،
اخضرَّ المكان، وأزهر الزمان،
وأمَلاً أخْضَرَ فينا زرع،
وجناناً خضراً نشر،
مُغْتسَل أحزاننا،
سلوان آلامنا،
والحزانى البائسون، من كل مكان سيأتون،
وبالفرح سينعمون، وبالسعادة سيفعمون...
* * *



هلمّوا نحب الجمال



د. سعاد الناصر *



لا شـك أن قضيـة الجمـال أصبحـت تحتـل المقـام الأول فـي عقـول الشـباب وقلوبهم. ولعل الأمر يبـدو طبيعيًا وعاديًّا بعد التغيرات التـي تحصل في الجسـم والفكر والروح في مراحل الشـباب الأولى، إلا أن التركيز على الجمال الخارجي والجسدي لدى الإنسان المعاصر، يكاد يصبح هوساً وجنوناً واستعباداً -إن لم يكن أصبح كذلك فعلا- بشـكل يفتح المجال للقول: إنه ردة حضارية مهولة لعصور عفا عليها الزمن.

ونعلـم أن العـرب قبـل الإسـلام كانـوا يقـدرون الجمال تقديراً كبيراً، لكنهم كانوا يرونه في الأشـياء المادية الحسـية، مثـل جمـال المرأة والفـرس والطلل وغير ذلـك من المظاهر المادية، ويعبرون عنه ضمن مشـاعر عاطفية لا تتجاوز الحس فـي أغلـب الأحيـان. ولمـا جـاء الإسـلام ارتقى الإحسـاس بالجمـال، وتعمـق حيـن زاوج بين جمـال الظاهـر والباطن، وتمثـل في نصوص قرآنية وحديثية عدة؛ أبرزت قيمة الجمال وأضفـت عليـه معاني ودلالات جديـدة. وكل هذه النصوص

تبـرز أن الله ﷻ مصـدر كل جمـال فـي هذا الكـون، وكل ما في هذا الكون من حسـن وجمال هو من الله ﷻ الذي صنعه وحسّنه. فهو سبحانه ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾(السجدة:٧) وأتقنـه: ﴿صُنْـعَ اللهِ الَّـذِي أَتْقَـنَ كُلَّ شَـيْءٍ﴾(النمل:٨٨)، بل إن الجميل اسـم من أسماء الله الحسنى وصفة من صفاته العليا.

وحين نسـتقرئ كل الآيات القرآنية التي تعلقت بالجمال ومفرداته المرتبطة به، ندرك عمق الدلالات التي يحيل عليها الحديث الذي يرويه عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه عن الرسول ﷺ: "إن الله تعالـى جميل يحب الجمال" (رواه البخاري)، كما نشـعر بمدى بعدنا عن هذه الدلالات التي لا شـك في كونها كانت ستفتح لنا آفاقاً واسعة من السعادة والحب لو ارتبطت بحياتنا وممارساتنا وعلاقاتنا، ولم نقنع بالجمال الظاهري.

وأول مـا يسـتوقفنا فـي مجـال الجمـال الإنسـاني فـي النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾(التين:٤)، ﴿وَصَوَّرَكُـمْ فَأَحْسَـنَ صُوَرَكُمْ﴾(غافر:٦٤)، ﴿الَّـذِي خَلَقَـكَ فَسَـوَّاكَ فَعَدَلَـكَ ۞ فِـي أَيِّ صُـورَةٍ مَا شَـاءَ رَكَّبَكَ﴾(الانفطار:٧-٨). فمثـل هـذه الآيات تصـب في التكوين الجسـماني كمـا تصب فـي التكويـن الروحـي، ولذلك كان التحسـين والتسوية والتقويم دليلاً على هذا التوازن الجمالي بين الروح والجسد.

أمـا الناظـر في الآيات التي تبرز الجمـال في الكون، فإنه لا شـك سـيقف مشـدوهاً أمـام طبيعة هـذا الجمـال وعمقه الـذي نحاربه في كل حياتنا بوسـائل مختلفة؛ ابتداءً من رمي الأوسـاخ في الطرقات والأحياء، إلى إشـاعة الشر والفاحشة والظلـم، وكل أنواع القبح. ونتأكد أننا أبعد الناس عن تذوق الجمـال الـذي هو من أعظم نعـم الله ﷻ، الأمر الذي يجعل الطباع خشنة وقاسية، والحياة فارغة من معانيها الجميلة التي بثها الله ﷻ للتمتع بها.

يقول تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ﴾(النمل:٦٠)، ويقـول في آية أخـرى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّـمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ ۞ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾(ق:٦-٧).

ولذلك نلاحظ أننا أينما مددنا أبصارنا نجد قبحا منتشراً، بشـكل يجعلنا نـكاد نجزم باختلال علاقة الإنسـان بالجمال فـي الحياة التي نعيشـها. وبالتالي فقد الإنسـان عنصراً مهمًّا من مقومات الحياة الطيبة، وانهارت قيمة عليا من القيم التي تحكـم العلاقـة بين الإنسـان والإنسـان، والأحياء والأشـياء والكـون كلـه. وهذا لا يعني أننا لا نتذوق الجمال الشـكلي، أو ندعو إلى نبذه ورفضه. فجمال الشـكل مرغوب كما ذكره لنا الرسول ﷺ في حديثه الشريف عند اختيار الزوجة: "تنكح المـرأة لأربـع: لمالهـا ولحسـبها ولجمالها ولدينهـا، فاظفر بذات الدين تربت يداك" (متفق عليه).

وإنما الذي نعنيه هو التشويه المهول للجمال أو اختصاره على أقل تقدير، والرغبة التي تدفعنا في هذه اللحظات الحرجة التي تعيشـها الأمة في جميع الميادين ومختلف المستويات، إلـى افتقـاد التربية الجمالية التي تسـمو بمشـاعرنا وعلاقاتنا إلـى آفـاق الحـب والتسـامح، والعـزة المؤدية إلى السـعادة والخير، ليس للأمة وحدها وإنما للبشـرية جمعاء التي جفت مياه الجمال من أشـكالها، وانغمسـت -ونحـن وراءها- في مسـتنقعات من القبـح، إلا من بصيص مـن الجمال الذي لا يروي الروح وإن شبع منه الجسد.

وفقـدان هـذه التربيـة الجمالية هـي التي تجعلنـا لا نكاد نحـس حتى بجمال تديننـا؛ ولنأخذ الصلاة كمثال؛ كم مصلٍّ منا يتذوق جمالها، جمال الشكل: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْـدَ كُلِّ مَسْـجِدٍ وَكُلُـوا وَاشْـرَبُوا وَلاَ تُسْـرِفُوا إِنَّـهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْـرِفِينَ﴾(الأعراف:٣١) مع جمال الاستقامة وجلال الخشوع لله ﷻ، جمال انتظام أجسام المؤمنين في الصفوف إذا انتظمت مـع جمال وحدة قلوبهم، وصفاء أرواحهم عندما تسـمو في معارجها إلى الله ﷻ، كلما ركعت لله أو سجدت رغبة أو رهبة أو محبة وتذللاً، أو استمعت إلى القرآن يتلى متدفقاً في معانيه الراقية، وأسلوبه الجمالي الآسر الذي يفيض حسناً ويشع بهاء..

ألسـنا فـي أمـسّ الحاجة إلـى إعـادة النظر فـي مفهومنا للجمال، وإلى تربية أذواقنا تربية جمالية مستمدة من القرآن الكريم، تعيد لنا التوازن الذي نفتقده في حياتنا. ■

(*) جامعة عبد المالك السعدي، تطوان / المغرب.



واحة القراء

ستبقى مجلة حراء متألقة في سماء المجلات، تنطلق من سماء إسطنبول لتشع وتبسط الأنوار على سماء العالم، تحمل بين أجنحتها باقات من الفكر الرصين المتوازن، في شكل ضارب في الروعة الجمالية، بألوانها التي تعكس التنوع الجميل بين كتابها الأجلاء، بأسلوب شيق سلس يجعلك تحس بنهم شديد لإعادة تصفح صفحاتها..

كلما قرأت عدداً، أقول: آآآه... إلى متى يصل التالي، وهل أستطيع الانتظار تسعين يوماً عن قدوم الحبيب.. آآآه... يا أسرة التحرير خففوا عنا، لا تحبسوها عنا كل هذه المدة...

المبارك محمد السوقي الطارقي / موريتانيا

هذه المجلة تسلّلت من الغار، تحمل في طياتها الأنوار، لتبثها من جديد إسلاماً طازجاً وهاجاً في قلوبنا، في وعينا... هنيئاً لنا أن أشرقت شمس "حراء" من سماء تركيا...

السيد إبراهيم أحمد / مصر

السلام عليكم ورحمته وبركاته

وبعد... حراء بارقة الأمل التي أشرقت منها شموس الهداية والحب للإنسانية جميعاً. اسم موفّق "حراء"، جسد الماضي التليد حيث فجر الرسالة... بـ"حراء" -المجلة- رسالة الشرق التي لن تغيب ألقها وفيها أحفاد الفاتح... "حراء" إحياء لدور المشرق -تركيا- ورسالة الحب والسلام...

وفقكم الله... ويشرفنا أن يكون في قلوبنا مع "حراء" التاريخ والمجلة. فكيف السبيل إليكم لنحظى بشرف الانتساب والسعي مع نجوم الهداية إن شاء الله؟

عبد الحميد حميد / اليمن

واعدة أنتِ يا "حراء"... أيتها الجسر الرائع بين عبق الأجداد والصحب الكرام وبين حاضر ينشد القدوة... بارك الله في كل المساهمين في هذا العمل العظيم...

محمود ثابت / مصر

رائعة هذه المجلة التي أحبها... كلما تذكرتها ابتسم لها قلبي، وضحك فؤادي طرباً لذكراها... رائعة في مواضيعها، رقيقة في اختيار كتابها ومجالاتها، أحبها في كل حين... أتعلمون من هي؟ إنها مجلة حراء...

ياسر محب فريد / المغرب

إن "حراء" هي اللمسة الرقيقة الحانية التي تربت على أكتافنا، تمسح دموعنا، وتأخذ بأيدينا لتنهض بنا من جديد، وتشق أمامنا بقلم الفكر والوجدان طريقاً سوياً إلى غاية سامية ينشدها صاحب العقل الذكي والقلب التقي في وقت استسلمنا فيه للانكسار أو كدنا...

صابر المشرفي / مصر


حراء
مجلة علمية ثقافية فصلية
www.hiramagazine.com
الأعمدة
ثابتون، قائمون...
في الأرض متجذرون...
ما تخلينا عن هوية،
ولا عن المبادئ تنازلنا...
غرامنا بالإسلام هو غرامنا،
وعشقنا للأمجاد هو عشقنا...
ما متنا ولن نموت...
إذا الرؤوس يوماً انتكست،
تظل الصدور جبالاً،
صدّادةً للكفر، محرزةً للإيمان،
غير هيّابة ولا وجِلة...
تركيا: ٥ ليرات • أوروبا: ٣ يورو • أمريكا: ٤,٥ دولار
ISSN 1306-1879
www.hiramagazine.com